جـــامعة ابن خـــلدون – تـيارت
كـليـــــــة العـــلوم الإنسانيـــــة و العلوم الاجتماعية
قســـــــم اللغـــــة العـــربيـة و آدابـهـــا

الموضـــوع

تشكيل الفضاء في الرواية التقليديـــــــــــة و الرواية الجديـــــــــــــــدة في الجزائر

رواية ريـــــــح الجنوب و رواية البحث عن الوجـــه الآخر أنموذجا

مذكـــــــرة لنيل شهـــــــــــــادة الماجستـــير في اللغـــــة العربيـــــة

مشروع : الروايـــــــــــة العربية بين الكلاسيكية و الحداثـــة في الجزائر

إعداد الطالب :
ملايكة لعرج

الدكتور المشرف :
محمودي بشير

السنة الجامعية 2009 / 2010 الموافق ل 1431

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــــــــــداء . . .

إلى كافـــــــــة أســـــاتـــــذتي ، إلى كل مـن عـلمنـي حـرفـا ، أو أنـــارنـــي بفـكـــــرة أو صـــوبنـــــــي في الدراسـة و الحيـاة ، إلى ا بـنـي بـدرالديـــن و ابنتـي مـــريـم سـيريـــن ، إلى ذوي القـــربـى و الأهـــــل و الأصدقـــــــــاء إلى زمـيلاتـــــي و زمـلائـــــــي ، إلى كـــل مـن ســاعـدنـــي فـي انجـــاز هـذا البحـــث مـن قـــريـــــــــب أو مـن بعـــيـــــــد .

إليهم جميعا أتـقـــدم بالـشكـــر ، و الاحـتـرام و الـــتـقـــد يـــر .

م . لـعـرج

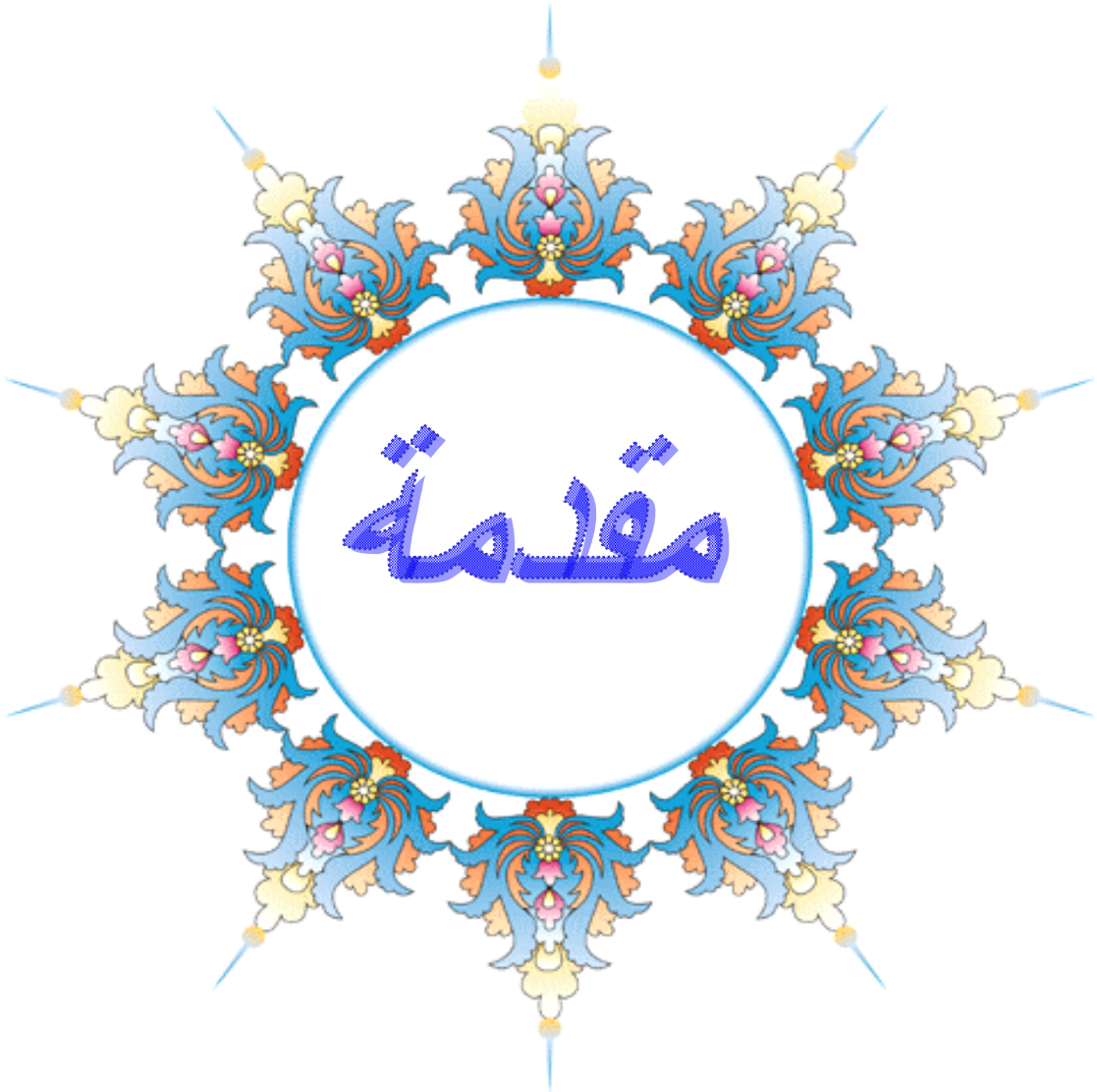
مقدمة

مقد مــة :

الحمـــــد لله الذي هــدانا سواء السبيل و أفـضل الصلاة وتمـــام التسليم ، على إمام الأنبـيـــاء و سيـد المرسلين ، نبينـــا و سيـــدنا محمد الأمـــــــــين صلـــــى الله عليـــه و على آلـــــه و أصحابه أجمعين و من تبعهم بالذكـر ، و الإحسان إلى يـــــوم الديـــــــن .

أما بعـــــد :

تبـرز أهمية هذا الموضـوع ، في كونـه يعمل على تجلية آليا ت اشتغـا ل عناصر بنية الخطـا ب الروائي من جهة ، وإيجاد وظيفتة الحكائية في الروايـــة العربية من جهة ثانية ، بحـيث صار مكونـا مهما في الكتابـــة السردية ، كما يعد الفضاء أحد العناصر الفاعلة ، في الكتـا بـة الروائية ، بـتشكـله مـن اخـــــــتراق ، و تفـــاعل الأحداث ، و الشخصيات ، لتتحـــدد معـــــالم ، و اتجاهـــات مســـــار السـرد و مقصد يتـــــــه .

إن البحث يعـــالج البنية الســرديـة في العمل الروائي ، في الروايـة الجزائرية بخـاصة ، وبما أن الـفضاء عنصـر أساسـي ، ومشكـل جوهـــــري ، مـن مشكلات الخطـا ب الروائـي فهـو يتـصل بالضـــرورة ، مـع مجـمل العناصـر المنتجـة لحبكـة الروايـة ، و بنيتهـا ، فـيرتبط ارتـباطا وثيقـا بالحـدث ، وكـذا بالشخصية التـي يتضمنـــها ، متـــفـاعلا في الوقـت ذاتـه بـالزمن ، الذي يساهم في تشكيل مظاهـــــره و أنواعـــــه .

إن البحـث في الفضـاء الروائي، مـن الموضـوعات المستحدثة ، في مجـا ل النقد الروائي مقارنـة بما يشهـده من تراكـــم في الجانب التنظيـــــري ، ونـدرة فـي المجـال الإجرائـــي ، ممـا جعلنـا نوليـه أهميـــة عبـــر الحـقـل الإجرائي ، مع مراعـــاة المحددات النظرية ، لمفهـوم المصطلح و أشكـاله في الخطـــــــاب الروائـــــــي .

فمن خلال الفحص لمدونا ت نقدية مختلفة ، لاسيما العربية منها ، على الرغم لما تحمله من إشكاليا ت ، كاختلاف التسميات و المصطلحات ، وعد م التدقيق في مجمل التفريعات التي تناولت أنواع الفضاء ، فهي تتسم في مجملها بتكرار المعلومات المعرفية لدى معظم النقاد والباحثين .

و لعل غياب المدونة النقدية الغربية ، في تأطير مفهوم الفضاء ، و مجالات تطبيقاته على الخطاب الروائي ، دفعنا إلى اعتماد بعض المدونات الأجنبية (باللغة الفرنسية) من أجل الوصول إلى ضبط المفهوم ، و الابتعاد عن التشويش ، الذي ساد الترجمة التي تبدو قد انحرفت عن المعنى العميق ، والسليم ، للطروحات الموجودة ، محا ولة منا تحديد مفهوم المصطلح ، كبناء أساسي ، يؤطرنا في الجانب التطبيقي .

إضافة إلى أن معظم الدراسات المتوفرة ، تناولت المكان ، بوصفه جزءا من مفهوم الفضاء ، ولم يظهر الحديث عنه إلا مؤخرا ، كما يشير إليه عبد المالك مرتاض في كتابه " تحليل الخطاب السردي" و حسن نجمي في كتابه " شعرية الفضاء ".

إن عدم انسجام المدونة النقدية العربية ، مع مستوى الطرح الذي تتضمنه المدونة النقدية الغربية ، حول مفهوم الفضاء وتمفصلاته في الخطاب الروائي ، أدى إلى عدم تحقيق معظم المقولات النظرية ، وهذا ما لمسناه من خلال عملية تحليلية تشريحية للمدونة الإبداعية للرواية العربية ، و الرواية الجزائرية على حد سواء.

وعليه فمشروع الرواية العربية بين الكلاسيكية والحداثة في الجزائر ، يهدف إلى تحديد تطور الرواية بشكل عميق ، يمكننا فعلا من تصور كتابة روائية ، تتفاوت من ملمح تقليدي إلى ملح

جديـد، يوصلنا إلى تلك الغاية ، من خلال الكشـف عـن تشكـيلات الفضـــــــــــاء الروائـــي وتجليـاتـــه ، في الروايـــة التقلـيدية " ريـح الجـنوب " **لعبد الحميد بن هـدوقة** ، والرواية الجديـدة " البحـث عــن الوجه الآخـر" **لمحمد عرعـار**.

لا يزال تصنيف الرواية إلى رواية تقـليديـة ، أو رواية جديـدة ، منحصرا في مجا ل العموميات و الأفكـار النظريـة ، التـي لم تجســد بعد معـالم كتابـة روائيـة ؛ تقـليدية و أخـرى جديدة ، فالاهتمام بالجانب الإجـــــرائي ؛ يؤدي بنـا للوصـــول إلى تحديد تلك المعـــا لم ، و رسم تصميمها ، ضمن خريطة الكتابـــة الروائية الجزائرية ، ولعل ما يطرحه الدارس و الباحث على السواء ، في هذا المجال الإشكالية التاليـــــــة :

1 - عدم ضبط مفهوم الفضاء كتأسيس نظري للبحث .

2- تجـاوز بعض المفـــــاهيـم الصيغة المحـــددة للفضاء ، في معظـــم المدونات النقـــديـــــة (الفضاء الدلالي الفضاء الروائي ...) .

3 - قلة الفهم لكثير من الجزئيات المحددة للفكرة النظرية ، لمفهوم الفضاء و مجالاته .

4 - التفاوت المفرط بين التنظير و الإجراء ، الذي يتضح من خلال قلة النماذج التطبيقية .

5 - تبـــاين كـيفيات تعامل الروائيـين مع الفضاء و المكان ، والتمفـــصلات التي يظهـــر بها فـــي الخطـــاب الروائـــي ، بنـــاء علـــى فلســـفة و رؤى الـــروائيين أنفســـهم .

6- صعوبة تصنيـف النصوص الروائية ، استنـــادا إلى تعامـل الروائييـــن مع الفضـــاء أو المكان ودرجة ذلك التعامل ما بين مظاهر تقليدية ، و أخرى جديـــدة .

و لعل التحـلـل البنيـوي و التفكيكي لبنية الخطـاب السردي ، يؤدي إلى الوقـوف بدقـــة

على أشكال مختلفة للكتابة الروائية الجزائرية ، إذ يتم تصنيفها بناء على مدى اقترابها أو ابتعادها من المعيار .

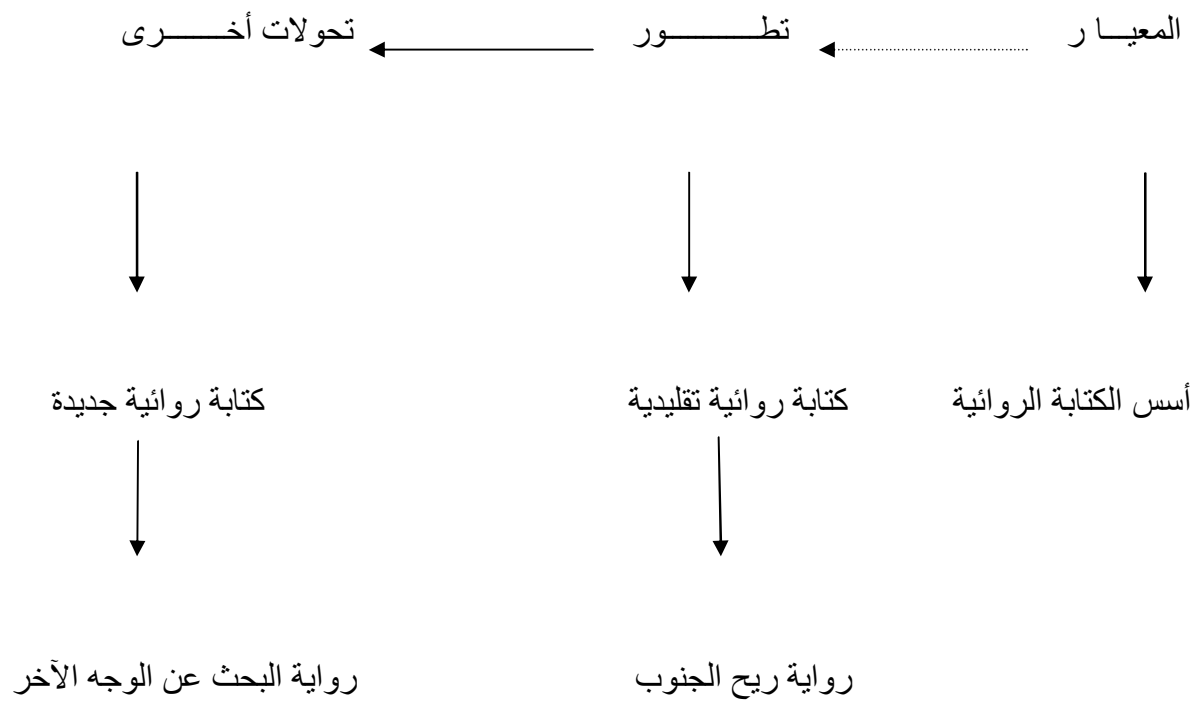

إن مفهوم الكتابة الروائية الجديدة لم يحدد بعد ، فهو ما يزال مشروعا ، أو تصورا لم تكتمل فلسفته ، و لم تتبلور أطروحاته ، كما هو وارد لدى المنظرين الغربيين في حد ذاتهم ، أبرزهم **ميشال بوتور (M.Buttor)** الذي يصف الرواية الجديدة بأنها منحنى ، أو مشروع لم يتأسس بعد ، من خلال كتابيه " نحو رواية جديدة " و " بحوث في الرواية الجديدة " .

و أمام هذا الغموض ، يتساءل الباحث عن مفهوم الجدة ، و مظاهرها في الرواية و كيف يصبح الفضاء مظهرا من المظاهر المؤسسة لتجليات الكتابة الروائية في حد ذاتها ، الجديدة والتقليدية ؛ لذا يجد الباحث نفسه ، مترددا في اختيار النماذج التي تمثل الرواية الجديدة ، وفق الأطروحات النظرية

المتوفرة - على الأقل - كما أن هناك من يعتبر رواية " التفكك" **لرشيد بوجدرة** و" حمائم الشفق " **لجيلالي خلاص** ، من أول الروايات الجديدة في الجزائر.

و هذا ما يعني استبعاد رواية " البحث عن الوجه الآخر" لمحمد عرعار، التي تحمل الكثير من الخصائص ، و المميزات المحددة للرواية الحديثة ، وهو ما جعلنا نعتمدها أنموذجا للرواية الجديدة ، وهي فرضية من الفرضيات المؤكدة في هذا البحث ، و نتيجة من النتائج المرتقبة .

إن رواية " البحث عن الوجه الآخر " رواية فكرية ، ذات مرجعيات غنية ، ينطلق فيها الروائي من حقول معرفية مختلفة ، كالفلسفة ، و علم النفس ، و التصوف ، مما جعلها تأخذ طابعا فريدا ، و مميزا يجعل استجابة القارئ ، تختلف باختلاف الرواية ذاتها ، عن أية كتابة روائية سابقة ؛ فهي فرضية مؤكدة ، غير مستبعدة التصنيف ، ضمن الرواية الجديدة .

من خلال قراءتنا ، لبعض النصوص الروائية التقليدية والجديدة ، قاربنا من تحديد رؤية الدراسة لضبط عنوان البحث الموسوم بـ:" **تشكيل الفضاء في الرواية التقليدية و الرواية الجديدة في الجزائر**" الذي نسعى من خلاله ، إلى إبراز تقنيات الفضاء ، بعدما كان مفهومه مقتصرا على الأمكنة الجغرافية .

ان البحث في المفهوم ، يقودنا إلى الدخول في حقلي الحيز، و المكان ، لما بينهما من تجاذب على الرغم من تعدد الأبحاث ، و الدراسات النظرية، فإن حداثة مفهوم الفضاء الحكائي ، جعلتها لا ترقى بالمصطلح ، و تمظهراته إلى المستوى الذي يرغب فيه الدارس للمصطلح

و ما يحققه من تمظهرات في الرواية ،*ليدرك نظرية* متكاملة عن مفهوم الاصطلاح ، أما المفهوم المأخوذ عن المكان ، فقد تطور حديثا ، و أخذ بعدا آخر، بحيث يمكننا اعتبار الفضاء النصي فضاء مكانيا ، على الرغم من الاختلاف في الدلالة بين المفهومين ، لأن فضاء الرواية ؛ هو مجموع الأمكنة التي بها صار أشمل ، و أوسع.

إن تلاحم العناصر السردية للمنتوج الروائي ، جعلها أساسا ، في لحمة التكوين السردي المزمع دراسته ، مما جعلنا نتتبع مصطلح الفضاء و دلالاته ، من خلال تشكيله في الفن الروائي ، كما يحتم علينا كذلك ، الإشارة إلى بعض العناصر، و التقنيات السردية ، التي تعمل بالتماس مع المفهوم كبنية الزمن ، و أسلوبية الوصف ، و البؤر، التي تحدد وجهة النظر في الخطاب الروائي .

.

انطلاقا من هذا الإطار ، تطرقنا إلى دراسة تطبيقية لرواية ' ريح الجنوب ' **لابن هدوقة** باعتبارها أنموذجا للرواية التقليدية في الجزائر، كونها أول رواية ناضجة ، و مكتملة فنيا ، حسب بعض الدراسات النقدية ، لما توظفه من تقنيات سردية من جهة ، و التزامها بالواقعية في تصوير حياة المجتمع الجزائري من جهة أخرى ، و كذا رواية " البحث عن الوجه الآخر" **لمحمد عرعار** ، لما لها من نقلة مميزة عن خصائص السرد الكلاسيكي ، و اتصافها بالمميزات ، و الخصائص المحددة للرواية الجديدة .

و **لقد** فضلنا البدء بالجانب النظري ، مع تقديم الآراء المختلفة ، التي تناولت مصطلح الفضاء ومناقشة بعض وجهات النظر، المتعلقة بمفهومه ، انطلاقا من مختلف الدراسات .

ان الإشكالية التي يمكن طرحها ، والتي تكون الموجه لسيرورة البحث ، هي:ما مدى تشكيل الفضاء بتمظهراته المختلفة في العمل الروائي ، وما الكيفية التي يقدم بها ؟ إضافة إلى درجة تلقي القارئ و وقوفه على ما يتضمنه من دلالات .

إن المقصد الذي يتوخاه البحث ، يكمن في التركيز على الجانب التطبيقي ، على الرغم من قلته كما هو فرصة لتقديم رؤية واضحة لمفهوم الفضاء ، الذي يعتبر الأساس لكل متن سردي كما فرض علينا هذا التصور تقسيم البحث على النحو الأتي :

مقدمة : تناولنا فيها التصور والدواعي ، مع ذكر الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع ، و معرفة مدى تشكيل الفضاء في العمل الروائي التقليدي منه ، أو الجديد عبر مجمل هذا كله ، تراءى لنا تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تطرقنا فيه إلى الجانب النظري ، لمفهوم الفضاء الروائي ، و إشكالية المصطلحات المتداولة للتعبير عن المفهوم .

الفصل الثاني : تطبيقي حول بنائية الفضاء و تشكيله في الرواية التقليدية ' **ريح الجنوب** ' و **الفصل الثالث :** تبيين لبنائية الفضاء ، و تشكيله في الرواية الجديدة ' **البحث عن الوجه الآخر** ' .

أما خاتمة البحث : فقد احتوت من خلال الموازنة بين الروايتين التقليدية ، و الجديدة في تشكيل الفضاء على النتائج المستخلصة من هذا البحث المتواضع ، الذي أردناه أن يكون انطلاقة ، تمهد لدراسة أشمل و أعمق ، لما للفضاء من أهمية ، و خصوصية في العمل السردي .

أما من حيث المنهج الذي اعتمدناه في هذه الدراسة ، يتمثل في المقاربة البنيوية كونه الأنسب فاتخذناه سبيلا لتفكيك البنية السردية للرواية التقليدية "ريح الجنوب "**لابن هدوقة** ، و الرواية الجديدة " البحث عن الوجه الآخر " **لمحمد عرعار** .

و ذلك من جراء اعتماد مقولة العلاقات ، كمقولة جوهرية تؤسس للمنهج البنيوي ، من حيث مفهوم البنية ، التي تتضمن بنى صغرى مؤسسة لمفهوم النسق ، أو للنظام الذي تمثله بنية الخطاب الروائي ، لتمثل في الأخير عناصره ، أو البنى الصغرى المؤسسة للبنية الكلية .

إن مبدأ العلاقات ، يجعلنا نقف بسهولة على التشكيل الذي يعتمده الروائي ، من خلال العلائقية ، التي تتجلى وسط المشكلات السردية ، و يعتمدها المؤلف في بناء الإطار الفني للعمل السردي ، فيصبح الكشف عن القوانين الداخلية التي تربطها ؛ هو في حد ذاته كشف لخصائص البنية السردية .

بحيث كلما كانت عميقة و دقيقة ، كان تصنيف الرواية في إطار الكتابة الروائية الجديدة حكما مستساغا ومقبولا ، و كلما كانت سطحية و بسيطة ، كان تصنيف الرواية في إطار الكتابة الروائية التقليدية حكما مقنعا .

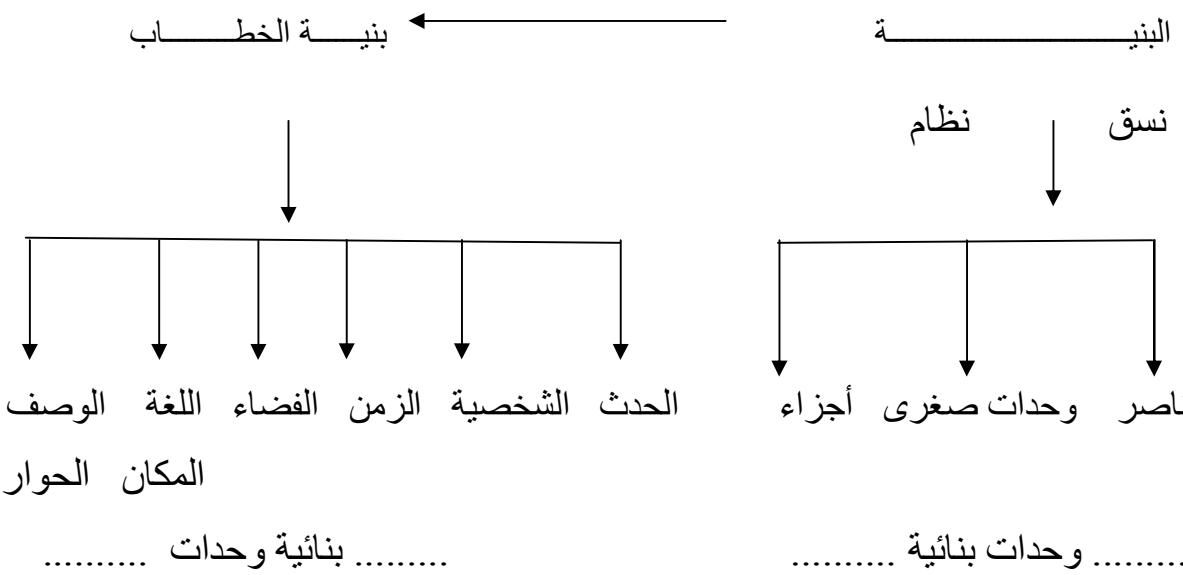

و من الصعـــوبات التي واجـهتنا خـلال انجـاز هـذا البحـث نـــــذكـــر منها ما يـأتـــي :

1 - اختلاف التسميات مما يؤدي للالتباس ، و التشويش ، و تداخل المفاهيم .

2 - حداثـــــة الدراسة النقديـــة لمفهـــــوم الفضاء.

3- اقتصار أغلب الدراسات العـربية على توصيف الفضاء دون الاعتناء بمدلوله .

4 - ضمور مفهوم الفضاء نظريا أمام المكونات الحكائية الأخرى كالزمن و الشخصيات .

5 - قلة المصادر و المراجع ، في المجالات الإجرائية لمصطلح الفضاء .

6 - تراكم المادة النقدية النظرية ، حول مصطلح الفضاء ، إلى درجة الخلط و تداخل المفاهيم

7 - غياب نظريـــة موحدة محددة لمفهـــــوم الفضـــاء .

و على الرغم من هذه الصعـــوبات ، الناتجـــة عن قلـة الدراســـات التطبيقيـــة في تنـاول المفهـوم ، و الخلط بـين المفاهيـــم ، في الجانب النظـــري ، سـنسعـى جاهـدين جادين في حصر تشكيل الفضاء ، و تمظهراتـــه – قـدر الإمكان - في الخطـاب الروائـي التقـليدي منـه و الجديـد.

كما اعتمدنـا على ما توافـــر من مـادة نظـريـــة ، نسخـرها في الدراســـة التطبيقـيـــة للـروايتـين السابقتيـن ، والتي نصبـو من خلالهـــــا إلى تحديـد الفضـاء الروائـــي ، و تمايـزه عن بقيـة المفاهيـــم المستعملة في الخطاب الروائي ، كما نأمل أن يكون بحثا مفيـــدا ، في إثراء المكتبـــة الأدبيـة الجزائرية .

و اثر هذا الجـهد ، أســـــدي شكري لله ، آملا منه التوفـيق ، و الاعـتـراف بالدكتـــور المشرف بشيـــر محمـودي الذي كـــان عـــونا ، و سنـــدا ، بقـــدر كـبيـــر في إثـارة رغـــبة البحث و بمجهودات كل من علمني حـرفا ، أو أمـدنـي فكـرة ، إلى غايـة انجـاز هـــذا البحث

لا قــياما بالواجب ، بل اعترافا بالفضل لهم جميعا ، إلى الوالد الكريم ، إلى الأم الحنون طيب الله ثراها إلى كافة الأساتذة على اختلاف الدرجات ، الذين تلقــينا على أيديهـم المعلومات القيـمـــة ، كانت لنا نهجا في مجـال البحث، و المعـرفـة، و إلى شريكـة حياتـــي التي هي دوما لي عونا و محفـزا إلى ذوي النــهــى و الإخــلاص ، إلى كل رفاق الـدرب، وإلى كل معين من بعيـد أو مـن قـريب.

إلى كل هؤلاء جميعا أصدق الثناء والعرفان .

السنة الجامعية : 2009 / 2010 م الموافق لـ . 1431 هـ

مفهوم المصطلح

مفهوم مصطلح الفضاء :

يعد الفضاء الروائي بامـــتداده و إيحاءاتـه البنيوية ، من أهـــــــم مكونـات التخييل الرؤيـــــــوي في الخـــطاب السردي ، فمن خلالـه تتشكـــل المكونـات الحكائية الاخـــرى ، كـالحوار و الأحداث ، لتتحدد مواقف الشخصية الفكرية و الأيديولوجية .

إن لفظة " فضاء " في المعاجم العربية وردت في مـــــادة " فضـــا " و الفعل فضا يفضو ـــــ فضـــوا فهو فـــاض ، ففضـى المكان و أفضـــــــــى إذا اتســـــــع ، فهو إذن المكـان الواســـع من الأرض و عـــــرفـه **' ابن منظـور'** في معجـمـه لســـان العرب بأنـــه ‹‹ الأرض البـــــوار الشاسعـــة الفارغـة أو ما اتسع من الأرض . ›› (1) فالفضـــاء في اللغـة العربية لا يعـدو قولهم ، المكان الواســـع .

الفضاء هـو دلالة الوجـــود الإنساني ، و تعيينـه الذاتي ، لا يتحقـــــق إلا به و فـيه ، ممـا جـعل النقـاد و الدارسيـــــن يولـون اهـــتمـــاما كـــبيرا بمفهـــوم المصطلح ، فميـــــزوه عن المكان ، وأوجـــدوا لـه تعـريفا عاما ، أخضعه المحدثون فـيما بعد ، ليضـــعوه أســـاسا لتنظيراتهم المكانيـــــة ، و الفضـائية علـى حد سـواء ، و ذهب بعض الدارســـين إلى أن الفضـــاء هو المكـان المســكوت فـيزيائيـا و جسديا ، و كـثرت التنظيرات المتخصصة التي اشتغلت على مكان و فضاء المنتـج الروائي .

و المتتـبع لصيرورة التقـــريب التصوري لاصطلاح ' الفـضاء ' في المـراجع المتخـصصة يجـده لا يخـرج عـن إطـــار معانـــي الاتساع و الخـلاء، كما ينـــــدرج الفـضاء أيضا ضمـــن فـن الكتابة

---

(1) – ابن منظور، (ت 711)، لسان العرب، بيروت ، دار صادر، ط1، د، ت ، ص157

و الإنشـــــــاء ، و يعـني بالمدلـــول المعـاصر' الأجـــواء العـــــالية ' أي ما فـوق الغـــــلاف الجوي

لقد اتسعـــت دلالة مفهـوم الفضاء ، لتشمل عدة معاني ، كمطلق المكـان أو ما يحيط بالإنسان من أرض و أشيـاء ، فاصطلاح فـضـــاء تقابله باللغة الفرنسية كلمة ' ESPACE' والمعنى الذي تتحمله اللفـظـة هو المحل 'Lieu' ، أما عندما نضع هذا المصطلح كمقابـــــل لـ' الزمان' فاللفـظ هـــو المكان .

كما أن لفظتي المكان و الزمان ، لا تنقلان بالتدقيـق الترجـمة الحقيقـية ، لما هو في اللغات الأجنبية) (Lespace et le temps و المكـــان في القوامـــيس العـــــربية هو المـوضع أو المحل ، في حين أن معنى " Espace" يكون أقرب مما يستفـاد من كلمة المكـان المطـلق بلغـة الفـيلسوف الألماني " كـانط " وهي أقـرب إلى مفهـوم الخـلاء " le vide " والخـلاء في اللغة العربية هو المكـان ، إذا لم يكـن فـيه أحـد ولا شيء ، و الخلاء من الأرض في لسان العرب يعرف بأنه : قـرار خال .(1)

ولـم تتضـح الرؤيـة ، للتعامل مع مصـطلح الفـضاء ، مـن طـرف الباحـثين ، إلا بعـــد الحـرب العالمية الثانيـــة ، وقـد أهـتم به النقـــاد اهتماما لم يحصل للدراسات السابقـــة أن بلغـته ، سواء من حيث التنظيـر أو من حيث الممارسة الإجرائية ، و عـرف بذلك المصطـــلح تطـورات جـذرية في المـناهـــج النقديـة الحديثة ، تجلت في كـــتابات رواد النقـد الظاهـراتي ، منهـم **غاستون باشلا ر**(Gostein Bachelard) و**جان بيير ريشار**(J.P. Richard) .

أمـــــا لـدى العـرب، فقـــد ظهـر مصطلـــــح الفضاء ، عـلى يد النقـــاد والباحـثين المغـاربـة فتجســـد فـــي البحـــوث الجامعـيـــة، و الـدراســـات النقـديـــة، و ظهـــــرت أعمـــال تطرقـــت

---

(1) بنظر : ابن منظور ، لسان العرب ، م ، س ، ص14

إلى مفـهوم المصطلح ، في اهـتمامات **سـيزا القاسم** ، وما تنـــــاولتـه بعـض المجلات التي مهدت سبيل المعــرفة النظـرية ، والممارسات الإجـــــرائية .

إشكالية المصطلح :

إن مصطلح الفضاء الروائي لم يبلـغ مرحلة المواصفة لدى جميع النقاد ، شأنه شأن المصطلحـــــات الأدبية و اللغـــويــة الحـــديثــة ، و كما اختلـــــف النـقـــــاد حول نشأتـه و تطـــوره ، و مدى مساهـمته في تطوير الدراسات النقـــدية ، فقـد اختلفـوا أيضـا حول دلالتـه و مضـمونه ، إذ هـنـاك من آثر استخـدام المكان عـوض الفضاء ، ومنهم من استعمل الحيـــز بـــدل المصطـلحيـن .

يظهر مصطلـح الفـضاء في الدراســـــــات النـقـديــة المغربية ، أكثـر استعـمالا ، و رواجا منه في الدراسات النقـدية العـــربية الاخرى ، و يعـود ذلك إلى الصلة العـمـــيقـة للكتابـــة الأدبية في المغـرب و تأثرها بالكتـابـــات الأجنبية .

فالفضـاء إذن ، يمكن فـحصه من وجهة نظر هـندسية ، وأخرى نفسية فـيزيولوجية ، و وجهة اجـتماعـية ثقافيـــة ، وهذا ما يعني أنـه يكون مكانا معلوما تتحرك فيه الشخصيات ، لإبراز الأحداث الروائية و مدى تفاعلها مـع الطبـائع النفسية و المظـاهر الاجتماعيـة ؛ إذ هـــي التـي تمـــــييزه انطـلاقـــــا مـن الحـــالات النفـسية والظروف المحـــددة لمجالاتـــــه.

إن مصطلح الفضاء عـنصر جمالي مهم ، من عـناصر الخطاب الأدبي ، سواء أكـان شعـرا أو مسرحيـة أو روايـة ، و استراتجية الفضـــــاء هـي استراتجية كتابـة ، و استراتجية قـراءة ، بمعنـى إستراتجية خطـاب أدبي، مشـــفـوع بكـل حـمولة و طـا قة ، وامـتـلاء الكتابـة جـماليا ؛ فـهو إذن **خطاب** يمنـح نفســـــه

للآخـــرين بصـريا و روحيـا ، يكـون فـيه الفضـــــاء أسـاس المشـكلات السـردية ، للوصـول إلـى أبعـد مستويـــات المتخـيل و التجـريـــــد ، فهو ليس مجـرد تقنيـة ، أو تيمـة ، أو إطـار للفـعل الروائـي ، بـل هو المادة الجوهرية للكتابة الروائيـــة و لكـل كـتابـــة أدبية .

و إذا كان الفضـــاء لغـة يعـني المكان الواسع من الأرض ، فـهو فـي الاصـطلاح الحيز الزمكـاني ، الـذي تظهر فيه الشخصيات ، و الاشياء متلبسـة بالأحـــداث ، تبعا لعـوامل عـدة تتصـل بالرؤيـــة الفلسفـية و بنوعـية الجنس الأدبي ، و بحساسية الكاتب ‹‹ و من هــنا ندرك مدى شمـولية الفـضاء و اتساعـه ، إن لم نقل قـدرته على احتواء عـالم مليء بالأسرار الملغــزة ، و الأشياء المتعـددة لا حصر لها ››. (1)

فهو ليس مجرد إشارة إلى المكان فـحسب - كما يتمثل في الواقـــع الخارجي - إنما يتجاوزه ليصبـح ذا بعد رمزي ، يعكس مفـهـــــوما نظريا ، أو فلسفيا داخل العمـل الفـني ، ليكون الفـضاء أوسـع و أشمل من المكان ، لأنه يمثل الأمكنة الروائية في سيـــــرة الحكـــــي .

الفضاء في الدراسات الغربيـــــة :

إن لفظـــة " فضـــاء "باللغـة العربيـة ، تقابـــلها فـي اللغـــــة الفـرنسية كـــــلمة "Espace" وبالانجليزيـــة كـلمة "space" ، و من خـــــلال المقـارنة بين المـــدلولات ، نجد لفظـة " فـضاء " تعني كـذلك في اللغات الأجنبية - الفـرنسية مثلا - الفراغ و الخواء ؛ فهي تعـبـــر عـن المســـــاحة الممتـــــدة كما تنـزع أيضـــــا للـــدلالـة عـن المكـــــان .

و على الرغـم من الأهـــمية البالغة لمفهوم الفضاء ، و ما له من تـأثـــير على حياة الإنســـان

(1)- حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الروائي ،المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط3، 2000 ، ص47

و بـروزه بشكـل واضح في العـمل السـردي ، إلا أنه لم يلـق الاهتمـام البالغ من طـرف الباحـثين و الـــدارسين الغـربيين ، كمـا يبـين **كولد ستين** Goldstein بـأن ‹‹ الدراسـات الأدبيـة فقـيرة جدا فـيما يخـص تنـــــاول موضوع الفضاء . ›› (1) ، و هـذا مـا يعني أن البـاحـثـين ، لم يركـزوا علـى المصطلح بالقـــدر الذي أعـطوه إلى المـشكـــلات السرديـــة الأخـرى .

يتكون مصطلح الفـضاء المتـــداول في المقـاربات السيميائيـــة ، والمـتمـثل في كونه موضوعا مهيكلا من عـــناصـــر غير مستمـــرة ، لكنها منتشـــــرة عبر امتـــــداده ، وفـق نظام منسـق يطلـــق عـليه **غريماس** " الفضاء الادراكي " ، و هو يقصـــد بذلك تحـول الفضـــاء في أي خطاب سردي مطابق لخطية النـــص ، و قـريبا من هذا المصطلح (Espace) نعـثـــــر على مفاهـيم لدى **غـريماس** أبرزها التحـييـز و لكـونه ، يقـيس الديمومـــــة ، فـهو مميز بالامـــتـداد و الاستمرار؛ لاحتوائه أمكـنة العمـل الروائي . (2)

و يرى أيضا الباحث **هنري ميتران** (H.Mitterant) قـلة الاهـتمام به حسب تصورات الباحـثين و النقاد كونه مفـهـــوما يستقـل بذاتـه ، ليشكل عـملا فـنيا في الخطـاب الروائـي ، لايقل أهـمية عـما تحـقـقه بقـية العناصر السردية الأخرى في المجال الإبداعي ، و فـقـر الدراسات الأدبية في تناولها لهـذا المفـهوم مثلما تؤكـده المـدونة الغـربية من خلال أراء بعض النقاد .

L'espace Romanesque était un domaine assez peu , ou assez mal , exploré par l'histoire littéraire , par la nomatilogie , et par la sémiotique aussi qui ont privilégie ces années , les travaux sur le personnage , sur la logique narrative , sur le temps , ou sur l'énonciation .

---

(1) – حميد لحمداني ، بنية النص السردي ، م ، س ، ص 63

(2)- ينظر: مولاي علي بوخاتم ، دراسات نقدية ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق. 1989، ص47

هـــذا القـــول الـذي يقابلـه باللغـة العـربية الـنص اللاحـق ، المبـين قـلة الاهـتمام بالفـضاء مقـارنة بالعـناصرالسـردية ‹‹ إن الفضـاء الروائـي كـان ميـدانا قـليل الاكتشـاف ، و التنـاول من قبـل الأدب منذ مدة و من قبل علم السـرد ، و كذا السيميوطيـقا ، حيث اقتصرت الجهود في السنوات الأخيرة على دراسة الشخصية ، ومنطق الســـــــرد ، و الزمـــن و الوقائـــع ››. (1)

و لعل اهتمـام النـقـاد بالعـناصر السردية الاخرى ، لمـا لهـا من فـعالية فـي البنـاء الروائـي ، كالعـناية بالشخـصيـة و الـزمن فـي الحكـي ، و عوامـل أخـرى تتصـل بـالرؤى ، هـو الـذي ضـيق مجـال العـناية بمصطلح الفضـــاء ،علـى الرغـم من أنه مجموع الأمكـــنة فـي الزمـان المستمـــر، الـذي تعايـشه ، بمـا في ذلك مجمل الطاقة ، و المادة الموجـودة في الكون ، و يبقى فضاء وهـميا ؛ إلا إذا استخـدم من منظـور يخـدم إستراتجيـــة الكـتابـــة و القـراءة معـــا.

إن التقـليل من استعمال مصطلح الفضاء ، مقارنة بالمشكلات السرديـــة الاخرى ، يتجلـى من خـــلال ما يـــــراه **رولان بورنوف** (Ronald Bournof) في مقـاله الذي نـصـه :

Alors que depuis une vingtaine d'années , se sont multiplies sur le temps on ne trouve pas d'étude d'ensemble consacrées a la notion qui lui est pourtant corrélative. L'espace dans la littérature narrative (2)

و يقابل هـذا القـول فـي اللغـة العـربية المعـنى الآتـي : ‹‹ انـه فـي الوقت الـذي تعددت فـيه المصنفـــات حول الزمن منذ العـــشريـــن سنـة التي خـلت، لا نجـد مـع ذلك فـي مجموعـها ، دراسات تعنـى بـالمفهوم الذي له علاقة لصيقة به ؛ ألا وهو: الفضاء في الأدب الســـــردي ››. (3)

(1)- حسن نجمي ، شعرية الفضاء المتخيل و الهوية في الرواية العربية ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ،ط1 ،2000 ص37
(2) - J.P Goldstein, Pour lire le roman, Bruxelles, Ducolot, 1983, Page 101
(3) – حسن نجـمي ، م ، ن ، ص 39

أمـا مـن جـهة الاصـطلاح ، فـقـد انخـرط الدارسـون فـي هـذا المصـطلح ، بوصـفه إطـارا تسير علـيه الأحداث في الرواية ، مما جعلهم يميـزون بين المكان و الفضاء ، والحـيـز والفـــراغ ، لأنهم لم ينتبهوا يـومئذ إلى مفهـــوم المصطلح ، الذي كان شائعا في حـقيقة الآمر بين النقـاد الغـربيين إلى حـد بعـيد .

و عـبر هذه المفاهيم المستعـملة في الثقـافة الغـربيـــــة ، إلا أن الباحث العربـي يصطـدم بكـثـيـر من الاخـتلاف ، و التداخل بين هذه المسميـات ، فـي الوصـول إلـى تحديـــد المصطلح ، و دلالـة توظيفـــه فـي النصـوص السـردية ، علـى الرغـم مـن استفـــــادة النقد العـربي مـن الدراسـات المتعـــددة ، فـي مجـال السـرد ؛ فـقـد بقي لدى معظم النقاد مجرد مفـهوم للمكان ، عـكس ما عـرفـته العـناصر السردية الأخـرى .

ومن بين الباحـثين الذين أسهمـوا في لفت انتباه الدارسين ، إلى مفهوم هذا المصطلح ، الباحث الروسي **يوري لوتمان** (Louri Lotman) و الألماني **بيتش** (R. Petsch) و **هيرمان مـيير** (H. Meyer) و **جورج بولي** (G. Poulet) ، و غيرهـم ممن تركـوا آثارا في المدونة الغـربية ، تجسد و تنظر لمفهوم الفضاء في الأعـمال الأدبيـــة بعامـــة ، و العمل الروائـــي بخاصة.

وقـد قـدم **غـريماس** (Greimas) الفضـــاء بوصفـــــه " مصطلـــحا مستعمـــلا فـي الدلائليـــة بمفاهيـــم متباينـــة ، قاسمها المشتـرك ، هـو اعـتبـاره كموضوع مـبني ، يتـضمـن عناصـــر متـقطعـــة انطلاقا من الامتـــداد المعـتبـر ، كاتســـــاع مملوء بالفضاء ، يمكن فحصه من وجهة نظر فلسفيـــــة و وجهـة نفسية فيزيولوجية ، و أخرى اجتماعـية ثقافيـــة ›› . (1)

(1) - حميد لحمداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الروائي ، م ، س ، ص15

إن **غريمـاس** يبـين الفضـــاء كمصـطلح واضـح المعـالم ، حسـب تعريفـه لغـة و دلالـة ، وأنـه لا يولـــد من العـــدم ؛ بـل يتأســـس من عـناصر تكونه و تشكلـــه ، و تلك العـناصر في رأينـا لا تخرج عـما يعطيه المكان من مفهوم ، و تصميمات متباينـــة و متعددة .

و عليه ، فهو لدى غريماس ، امتداد للمساحـــة المكانية ، التي تنتشر في الخطـاب الروائـي، ليصـبح عـــالما ممتدا ، ممـــلوءا بالـدلالات ، التي ترتبـــط بالحـدث أحيـانا (البعـــــد الاجتماعي) و بالشخصية (البعد النفسي و الفيزيولوجي) ، أو بالحقـبة الزمنية ، أو التاريخية (البعد الثقافي و الحضاري) .

وهذا ما ينعكس على المكان ، ليخلـف في الأخيـــر مـا يسمى بمصـطلح الفضـاء ، و يكون مفهومـه فـي تحديـد **غريمـاس** (Greimas) ، شـيء مبنـي ، متكـون مـن عـناصر ، موصـوف بالامتـــداد ، ولـدى ميشـال رايمون (M.Raymon) فانه " لايرى بالعين فحسب ، إنما هو وسط محمل بالقيـــم ..›› (1)

فهو يراه ، بخلاف المكان في الروايـــة ؛ مجـسدا ا ومحـــددا ، يصفه الروائي بدقة ، و يعرض تفاصيله و جزئـياته ، بدرجة أنه يوحـي بواقعيتـــه ، كمـا هو الشـأن في وصـف غرفـة " نفيسـة " ‹‹ الحجرة ضيقة طولها ثلاثة أمتار، و عرضها كذلك ، بها كوة خارجية . . . في هذه المساحة السرير القديم . . . و خزانة أشد قـــــــــــــــــدمـا ... ›› (2)

في هذا المقطع ، المقـتبس من رواية 'ريـــح الجـنـوب' لابن هـدوقـــة ، المتعلـــق بوصـف غرفـة ' نفيسة ' المكان المبين يـرى بالعيـــن المجردة، و لكن الفضـاء غير مرئـي ، لأنـه يشمل العلاقات الداخليـة الخفـية ، التي تلفـها الأمكنة في الخطاب الروائـــــــــــــي.

---

(1) - حميد لحمداني ، بنية النص السردي ، م ، س ، ص 76
(2) – عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط 4 ، ص 8.

إن القيـــم التـي أرادهـا **رايمـون** (M. Raymon) ، هـي تلـك الـــدلالات التـي تخلقــها الشخصـية بتصرفاتها (الأحداث و الوقائع) ، ومعاملاتها (الجـانب الاجـتماعي) ، و سلوكيتها (الجانب النفســـــــي و الشعـوري) ، وهي قيم تضـــاف إلى المكان من خلال علاقات .

و ما أضافـه أيضا **هنـــري ميتران** "H.Mitterand" من خـلال رأيـه : ‹‹لا وجود لنظـــرية مشكلـــة من فـــضائية حكائية ، و لكن هناك مسـا ر للبحث مرسوم بدقة ، كما توجد مسارات أخرى على هـيئة نقط متقطعة ›› . (1)

إن مفهــوم الفضـائية الحكائيـة ؛ هـي التـي تـرتبط بالفضـاء ، الـذي تخلقـه الأمكنـة الواضـحة ، ذات البعد الهندسي المحـــدد ، الذي يمكننـا من الظفـر بـه ، و تتبـع جزئيـا تـه ، لأنـه مشكل ممـا تهيمن عليـه النزعـة الحكائيـــــــــــــــــة (القـــص) .

كمـا يتحول المفهــوم إلى مجـرد فـكرة ، عـندما يتحول الروائي في حد ذاته ، إلـى باحث و مخطط لمسار من الأمكـــــنة المبهمـــة و الغـــامضة ، التي تظهـــــر على شكل أفكـار، و تأمـلات متناقضة حـينا و متداخلة أحـيانا أخرى ، إلا أنها ترسم في آخر المطـاف عالمـا خاصـا ، أو فضـاء ينشـئه العـالم الفكري للمؤلف أو الروائي ، ليكون (الفضاء) هو العلاقة بين المسـافات ، التـي تشكلها العلاقـات ذاتـها بين الأمكنـة المتعـددة في الرواية ، لتتحـدد خصوصية الفضاء الروائي، و تمييزه عـن باقي الأجناس الأخـرى .

كما انه ، لا يرتبـط بالزمان والمكان فحسب ، إنما يقيـــم صلات وثيقـــة ، مع باقي المكونات السرديـة وعلى هذا الأساس ، فالبناء الروائـي ، مرتبط بخطيـــة الأحداث الروائية ؛ وهو المسار الذي يتبعه السرد فتكـون صلة الفضـــاء بالزمـان ، و المكـان فـي النص الحكـائي ، تبدو أكثر عمقا من بقيـة العناصر السردية الأخرى ، كونهما يمثلان الأساس في تحديد سيـاق الآثار الأدبيـــــة .

(1)- حسن نجمي ، بنية النص السردي من منظور النقد الروائي ، م ، س ، ص36

و إذا كان السرد يشكل أداة الحركة الزمنية في الحكي ، فان الوصف ؛ هو أداة تشكل صورة المكان ، و من هنا يكون لكل رواية بعـــــــــــــدان :

البعد الأول ، أفقي يشير إلى السيرورة الزمنية ، و البعد الثاني ، عمودي يشير إلى المجال المكاني ، الذي تجري فيه الأحداث ، و عن طريق التحام السرد ، و الوصف ينشأ فضاء الروايـــــــــــــــة .

المسافة

الفضاء : أ ——————————————— ب

الفضاء

المكا ن : ا ب ج د

مسافة

مسافة

مسافة

..... الفضـــاء .....

عبر هذه الخطاطة ، يتبين لنا بأن الفضاء ؛ هو المسافة بين نقطتين ، أما المكان فهو المسافة بين نقطتين أو أكثر ، و قد أشار **' أرسطو'** إلى ترابط عنصري الزمان ، و المكان بحيث ‹‹ أن الحركة خاضعة للمقدار الكمي ، و كل مقدار كمي متصل ، فالحركة أذن متصلة فإذا كان الزمان سائرا وفق الحركة ؛ فهو إذن متصل مثلها... ›› (1)

أي أنه يمكننا التمييز ، في المتحرك بين نقطة البدء و نقطة الوصول ، ونفرق بين متقدم و متأخر في المكان .

(1)– حسن نجمي ، بنية النص السردي من منظور النقد الروائي ، م ، س ، ص63

يشكل الفضـاء الروائـي ، إطـارا لحركـة و أفعـال الشخصـيات و سلـــوكها و أحلامـــها ، و نوعيـة الاحداث ، مما يحدد للنـص ظلالـه الواقـعـــيـة ، فهـو حيـــن يتشكـل (الفضـاء) في بعـض جوانبـــه من أمكنة واقعية ، يتوافر على مقـومات وجـودها المـــادي ، و التـاريخي و الاجتماعي ، فـيكـون معبرا عن أيديولوجية الطبقـات و صراعـاتها ، ومدى اختلافاتها ، بدءا من الفضـاء المكـاني ، و أشيـــائه، كما نجده لدى **هنـري ميتران** (H .Mitterand) ، في تأكيده على أهميتـه و تحديد ضرورة كينونته في كتابة الخطاب الروائـــــــــــــــــــي .

فالفضاء يخترق حياة الإنسان ، و يحس بكينونته أينما حل ، و يلقي بظلاله عليه ، أينما ولى وجهه انـــه يعيش فيه و معه ، فلا وجود لكائـــن دون فضاء يحويـــه ، و على الرغم من كونـه عنصـــــرا ضروريا في الحـــياة ؛ إلا أن الكـــتـابات الغـربيـة و قـفت حائـرة اتجاهـــه ، و سلمت بمحـــدودية درجـة مـا عـرفـــت بـه من فكـــر، وقد ركزت الدراسات ، و الأبحـاث عـلى الزمن الروائـــي ، بالاعتمـــاد على مقولة الزمن على حساب ، مقـولة الفضـــــــــــاء . (1)

إن النصـوص الأدبيـة تتحقـق زمـنيا بالدرجـة الأولـى ؛ بـالنظر لصلابـــة مقولـة الـزمن ، و شـــدة حضورها التي كانت سـببـــا في ضمـور الفضـــاء ، إذ هـي من الأسبـاب المغيـــبة لكـينـــونته على ما للزمن من شمولية ، بسب احتوائه كـلا من الزمـــن ، و الحيـــاة .

ومـن هنـا يمكن القول ، أنه إذا كان الزمـن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث ، فـان الفضـاء يظهر على هذا الخـط ، و يصاحبه و يحتويـه ، و في الوقـت الذي يعتمد فيه الزمن على تقـــنية السـرد في عرض الاحداث ، نجد في المقـابل تقـنية الوصف تمـــيز المكان في عرضـه للأشياء ، لإبـراز مدلولات الفـضاء الروائـــــــــــــي .

---

(1)- ينظر: عبدالله أبو هيف ، جماليات المكان في النقد العربي المعاصر ، دمشق ، سنة 2003 ، ص 43

الفضاء في الدراسات العربية :

لقـــد ظل الفضاء مرادفا للمكان ، و ظل المكان مرادفا للديكور، في الدراسات العربية النقدية الروائية مما أضفى ضحالة و سطحيــة على هذا المكون الحكائي ، جعلت دوره مهمشا ، دون استثمار على مستوى المنجز الإبداعي و النقدي ، و كأن هناك مواضعة ضمنية بين النقـاد العرب ، تجعل منه مجموعـة الأمكنة

كما يشكـو النقــد من انعـــــدام وجـــود نظريـــــة متكاملة ، تحصر الفضاء ، و تمنهج آليـات اكتشافـه و تحديده ، مع غياب إستراتجية ناجعة لتأويله ؛ السبب الذي أدى بالكثير من النقاد العرب في جل الدراسات النقدية ، إلى عدم تجاوزهم الفضاء المادي ، في مقارباتهم النقدية التنظيريـــة .

و ظهـر مفهـوم الفضـاء حـــديثا ، ليكـون بـديلا متطـورا عمـا جـرى الأخـذ بـه ، أو المسـاحة الجـيوفـــيزيائية لـبعض فقـــرات النص و وحداتـه ، و اشتغـل بتوظيفـــه النقاد الحـداثيـــون فـي العـالم العربي ، لاسيما الذين احـتكوا بصورة مباشرة بالثقافـــة الغـربية ، بحيث كون هذا المفهوم في دراسا تهم جـــــزءا هاما من مراحل التحليل ، على مستويات الخطاب الســـردي .

إن فعالية قراءة الفضاء ، لا تتوفر و لا تتحقق لها الدقة ، و المنهجية الفـاعلة ، إلا بالرجوع إلـى شعرية المكان و سيـميائيته ، و ما تحقـق عنها من النتائج ، بعد ما احـــتضنته السيميائيات وما أحدثتـه من تبـــاين لتعريفات مختلفة ، تخضع لنوعـــية النص و مستـــــواه .

و **لعل** الأخـذ بتعـريف متكامل ، و تقـريب جـامع للفضاء ، ليس بالأمر الهـين ، و إن يكن معـــظم الذين اهـــتموا به لم يكـــلفـوا أنفسهم ولو وقـفة قصيرة ، عند التنظير له ، علـى الـرغـم مـن استـعمال مصطلح الفضاء في السيـــميائية ، كموضوع تـــام ، بحيث يشتمـــل على عنـاصـــــر غـير مستمـــرة انطلاقا

من انتشـــــارها ، و التـي تعـالجـه من الوجـــــهة الجـــغرافية سيـــــكو ـ فيزيولوجية ، و سوسيوـ ثقافية فهو بهذا المفهوم ، مكـان جغرافي فيزيولوجي ، و اجتماعي ثقافي أي: مكـــان رمـــــــزي .

الفضاء لـدى **سيرا القاسم** « حامل لمعنى و لحقيقة أبعد من حقيقته الملموسة ... و ثمة ظاهرة أخرى لها أهمية في تشكيل عالم الرواية ؛ و هي إضفاء البعد المكاني على الحقائق المجردة. » (1)

هذا ما يعني ، قيمته في بنـاء العمل الروائي ، إضافة إلى ما يتحقـق من أبعـاد مكانية ، من خـلال تشكيل الفضـــاء ، و بذلك فالبنية الروائية تنطـــــوي في شريطها اللغوي ، على أمكنة وأحياز، تتشابـك فيما بينها و تتقـــاطع مع أمكنـة متخـيلة ، تشير إليها القـوى الفاعلـة بحركاتها و اختراقاتها ، فتتظـافـر ، و تتكاتـف عبر مسار الحكي/ الخطاب على مستوى التشكيـــل النصي ، وكـذا مستوى التلقـي ، جـراء اصطدام النص بالقـــــــارئ ، لينبثـق المكـان الروائي ، مولـدا ما يثري البنية النصية بكافة أبعاده .

فالفضـاء الروائـي لـدى ' سمـــر روحـي الفيصـل' « أوسـع من المكـان الروائـي ، وأنـه يمكـن للروائـي الانتقـال من المكان إلى الفضاء من خلال العلاقات المكانية ، و الحالة الشعورية .»(2)

إن الفضـــاء الروائي أوسـع من المكان الروائي ، وأشمـل منـه ؛ فهو ذو معنـى عـــام و هنـــــاك فصل بيـــن معنـى المفهوميـــــن ، بحيث أن المكـان يؤسس للفضـاء مجمـــوع الأمكنـة فـي الروايـة ، التـي تولـــــــــده عبر النص السردي ، ليأخـذ (الفضـاء) عالمـا فسيحـــــا واسعـــــا ، يشمل كل جزئيات المكان ، و يعطيه دلالات مختلفـــــــــــــــــــة .

(1)- حميد لحمدانـي، فضاء الحكي بين النظرية و التطبيق ، المغرب ، 1986 ، ص79

(2)- سمر روحي الفيصل ، الرواية العربية البناء و الرؤية ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005 ، ص78

أما العلاقات المكانية ؛ فهي مجموع الأمكنة ، التي تساهم في خلق فضاء دلالي معين ، يستند إلى الحالة الفكرية ، أوالشعورية للشخصية ، في الخطاب الروائي، وهذا ما يتجلى في رواية ' البحث عن الوجه الآخر' بحيث ، يعيش البطل حالة نفسية وليدة الاغتراب ، و الحلم و المعاناة ، فتعمل على خلق أمكنة من نوع خاص في الرواية ، كانعزال البطل في الغرفة ومن هنا ، يتم خلق فضاء حلمي لعالم خاص غريب ، يتجاوز العالم الواقعي الحقيقي ، إلى عالم مسحور، أو إلى عالم نوراني ، يوجد العالم النفسي للشخصية.

وفق ما سلف ، يتضح أننا نصب أمام رأيين ، للمفارقات بين تلك المسميات الرأي الأول : نجده يفرق بين هذه المصطلحات من خلال التعريفات ، و لعل أهم خاصية تمييز الفضاء شساعته ، فهو يحتوي المكان ، و الحيز ، بتجسيد الجانب التاريخي ، و الثقافي الموروث من العادات والتقاليد ، ليتأتى من خلاله الحديث عن الأمكنة .

فالمكان ، فحيزه ضيق مهما اتسع ، لاندماجه في الفضاء ، فكل حيز يتحدد بالأرض و المساحة ، و بالموقع ، فكلما تعلق الأمر بالحيز تم الحديث عمن يشغله ، وعن هوية شاغله ، و مدة إقامته و من هنا ، يتضح لنا بأن الحيز كامن في المكان و الفضاء.

في حين الرأي الثاني : يتخذ من تعريف المفاهيم مصطلحا واحدا ، و هو رأي غير متداول ، لا يميلون إليه كثيرا ؛ بل يحبذون التفرقة بين المصطلحات ، فربط الحيز ، و الفضاء بالزمن ، هو ربط سليم مستساغ إلى حد بعيد ، لأن هندسة الفضاء ناتجة عن بناءات الزمن في الخطاب السردي .

وهناك تعريف ، يرجح تقريبه إلى مفهـــوم الفضـــاء الدلالي، باعتباره إنتاج اللغة الروائية ، الأمر الذي جعل الدارسين يخلطون بين المفاهيم الثلاثة على ا لرغم ما لها من مفارقات دلاليـــــة .

و قد عالج حميد لحمداني مسألة المكـــــان ، في الدراسات الروائيـــة ، اثر تعرضه إلى مجموعة من المصطلحات المتعلقـــة بالمفهوم ، كالمكان ، و الفضاء (الفضاء الجـــغـــرافي ، الفضاء الدلالي الفضاء النصـــي ، و الفضاء باعتباره منظورا) ، و الذي أبـــدى ترجيحه إلى مفهوم المكان في الرواية مقتديا في ذلك بكثير من نـــــقـاد الخطـــاب الروائـــي، لما للمكـــان من شموليـــة ، أو هو المكان بذاتـــه ، الذي تجري فيه أحداث الروايـــة ، بينما مصطلح الفضاء هو المسرح الروائي بأكمله ، ومن ثم يكون المكان يشكل جـــــزءا منه ؛ مما يعني أن هناك فصل بين المكان و الفضـــاء .

و اللافت للنظـر، أن كلا من الفضاء و المكان ، قد حضيا بالدراسة النقـدية لدى **عبد المالك مرتاض** فالفضاء لديه يتخذ مفهـوم الجـو الخارجي ، الذي يحيـــط بنا ، و يأخـــــذ مهيمنة الشمـــول الأرضية و السماويـة ، في حين أن الحيـــز، يدل على الحركية الاتجاهـــية الطـــولية و العرضية ، كما تطـــرق الباحث إلى التمييز بين هذه المصطلحات ، و ما تشمله من مفارقـــــــــات .

إن مصطلح المكان يراد به الجغـــرافيا ، وعليه ، لما كان الفضاء يعني الفراغ بالضرورة ، فان مصطلح الحيز الذي يؤثره **عبد المالك مرتاض** ، قـــادر على أن يشمـــل كل هـــــذه المصطلحات ،على كافة الأصعدة و المجـــــــــــــالات .

و في المقابل ، قارب بعض الباحثـــين بين مصطلحي الفضـــاء و المـــكان ، من خلال عـمل المؤلف الذي يرمي إلى بث المصـداقية في ما يرى ؛ فيجعل المكان في الرواية ، مماثلا في مظهره الخارجي

للحقـــيقة ، و هو حين يفعـــل ذلك ، يعكس للقارئ الصور الطبوغرافية للمكان ، و التي تشـــير إلى المظهر الخارجي ، مما يـــــؤدي بالعمل الروائـــــي ، إلى رســـــم صورة بصرية ، تجعل المكان ممكنا .

و من النقـــاد من يفضل استعمال المكان دون الفضاء ، على خلاف ما أخذ به **عبدالمالك مرتاض** ، لان كل تصور ، أو تجـسيد للمكان في محدوديته ، أو الفضاء في اتساعه ، لا يتم إلا في الأفـق الزمني .

و انطلاقا من هذه المفـــــاهيم للمصطلح ، المستعملـــة في الثقـــافة الغربيـة ، فان البحث في الدرس السيميائي العربي ، يصطدم بكثير من المفارقات ، والتباين ، بسب غياب مصطلح نقـــدي موحد للمفهـــوم في الدراسات النظرية ، و الإجرائية ، و بين ناقـد و آخـــــــر .

كما أن هناك بين المصطلحيـــــن الفضاء الروائي ، و المكان الروائي ، صلة وثيقـــــة ، على الرغـــم من اختـــــلاف مفهومهما ؛ فالمـــــكان الروائي حين يحرر من أي قـيد ، يدل على المكان داخل الرواية سواء كان مكانا واحدا ، أو عـدة أمكنة ، لكـــننا عندما نضع مصطلح المكان مقابل مصطلح الفـــضاء للتمييز بينهما ، فإننا نقـــصد بالأول المكان الروائي المفرد، و نقصد بالثاني أمكنة الرواية جميعها .

فـدلالة مفهـوم الفضـاء ، لا تقـــــتصر على مجموع الأمكنـة في الروايـة فحسب ، بل تتسع لتشمل الإيقـــاع المنظم للحـــوادث ، التي تقـــع في تلك الأمكـنة ، و لوجهات نظر الشخصيات ، و من هـنا يبدو مصطلح الفضاء أعم من مصطلح المكان ؛ و المكان الروائي ؛ هو المكان اللفـــظي المتخيل ، أي المكان الذي صنعته اللغة انصياعا ، لأغراض التخيل الروائي و حاجاته .

الفضاء مجـــلي للصراع بين الرؤى المختلفـــة ، و الأصوات المتعـارضة فيعـد بذلك مساحة استعراض و تصادم ، يعيش درجة توتر مرتفعة لينتقل بذلك من عنصر يشكل امتدادا لأحاسيس الإنسان إلى شـرط للوجود ذاتـه .

مفارقة مصطلحاتية لمفهوم القضاء :

إن هذا البحث يبين لنا ، بأن الباحثين العرب ، لا يتفقون على تسمية واحدة لمفهوم المصطلح ، بل يتعدى ذلك إلى اختلافهم حول المدلولات ، التي يؤديها كل مصطلح ، بحيث نجد كل باحث يستعمل المصطلح الذي بلائم منظوره ، و يتفق مع رؤيته للمفهوم ، ومنهم من يستعمل أكثر من مصطلح ، وهذا ما جعلهم يختلفون في تحديد مفهوم المصطلح ، لأنه من المفاهيم حديثة النشأة ، وقليلة الاستعمال .

وعلى الرغم من تعدد هذه المصطلحات ، إلا أن لمصطلح الفضاء سعة التدلل ، و العمق ، لما يتوفر عليه من ثراء دلالي ، و رمزي و استعمال جمالي ، ومن المصطلحات التي يتباين الباحثون في توظيفها ، هي مصطلح الحيز، و البيئة الأدبية ، و المجال و المكان، هذا الأخير الذي يظل قريبا من مفهوم الفضاء ، إن لم نقل انه مكون له .

لقد أثار **عبد المالك مرتاض** ، فكرة الحيز، أو الفضاء في مقارباته الإجرائية ، لتحليل الخطاب السردي ، بمثل هذا العمق و الشمولية ، لاسيما ، في كتابه ' ألف ليلة وليلة ' بتحليله السيميائي التفكيكي لحكاية ' حمال بغداد ' ، بحيث يرى أنها أزخر الآثار الإنسانية بتنوع الحيز .

من خلال ما يلاحظ من تقارب بين الكلمات (الحيز، الفضاء ، المكان) ، من خلال ما تتضمنه النصوص السردية ، يكون فيه بذلك مفهوم للحيز، أقرب تماثلا لمفهوم الفضاء .

إن مكنات التوظيف المختلفة لهذه المصطلحات ، من باحث إلى آخر، هي العائق الأساس للدراسات الأكاديمية العربية من جهة ، وقلة التواصل المعرفي بين الباحثين من جهة ثانية .

و **يرى** في هذا المجال ، و يؤكـده الباحث بشير محمودي « لقـد وجدنا صـعوبة كبيرة فـي ضبط مفهوم الحيـز ومفهـوم الفضـاء ، وتـداخلهما مـع مفهـوم المكـان ، بحيـث نجـد الباحثـين ، والدارسـين للخطـاب السـردي ، يخلطـون كثيـرا بـين هـذه المفـاهيم دون تفرقـة ، وتمييـز إلـى درجـة الفـوضى فـي استخدام المصطلح . » (1) وهـذا ما يدعـم ما قلناه آنفا ، عن تداخل هذه المسميات التي شغلت ميدان النقد العربـي ، ومجالات الأعمال السردية ، في الخطاب الروائي بخاصـة .

أولا : مصطلح الحيـــز :

الحيـز لدى المتكلمين ، مثـلما يأخذ بـه الشيخ سعيد في الكاشف الصغير على ابن رشد ، هو «البعد الموهوم ، الذي يشغله الجسـم ، و تنفـذ فيه أبعاده ، و هو صفة نفسيـة للتحـيز ؛ بل هـو بعـد متوهم للتحييز نفسه ؛ كما يعني الفراغ المتوهم ، الذي يشغله شيء ممتد كالجسم ، أو غير ممـتد كالجوهر الفـرد و هو مطلب المتحرك ، للحصول فيـه. » (2)

أما عند الحكماء فالحيز هو " السطـح الباطن من الحاوي المماس للسطـح الظاهـر من المحـوي و بهذا يكون الحيز شاملا للأجسام الممتدة ، وغير الممتدة ››.(3) ، فـفي لسان العرب كل ناحية حيـز و إن أكـثر ورود للكـلمة في المعاجم ، يـحوم حول المجال ، أو النطاق .

كما جاء في المثـل السائـر **لابن الأثير** عبارة " الألفاظ داخلة في حيز الأصوات ، فالذي يستلذه السمع منها و يميل إليه هـو الحسن ››(4) ، فهو واسع الاستعمال ، مستلـذ لدى السامع ، مشتمل على جـميع الأمكـنة

---

(1) - بشير محمودي ، نظرية الرواية في النقد الجزائري الحديث ، رسالة دكتوراه مخطوط، جامعة وهران،2002 -2003 ، ص284

(2) ينظر : معجم الكليات ، لأبي البقاء الكوفي ، ص826

(3) – ضياء الدين ابن الأثير(637 ه)،المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق:مازن المبارك ، دار الفكر، بيروت،ط1 ،ص316

(4)- ضياء الدين ابن الأثير ، م، ن ، ص 6

التي تتخـللها الأحداث الروائية ، وفق نمط و طبيعة الشخصيات المسيرة للقص الروائي ، مما أدى ببعض الباحـثين إلى عدم التخلي عنه ، في تأطيـــــــر الإبداع الفـني ، مع اهـتمامهم بمصطلح الفضاء الذي بعد محورا في الخطاب الروائي.

تشكل الســـرديات منعـطفا حاسما في الدراســـات الأدبيـة ، من منظور لغـوي - على الأقل و بالتـــالي فانه لا يتصور سرد من دون حـيز ، لأنـه يعد عنصرا أساسيا في بنـاء العمل الروائي ، لارتباطـه بالعناصر السردية أكثر من استعمالات الأخرى ، كما أن التصور يكون ناقصا بافـتراض وجود الأدب خـارج دائرة العلاقــة مع الحـيز، و باعتبار ، أن الأدب يســعــى إلى وصف الأمكنـة ، و المنـاظر الطبيعية على حد تعبير **بـروست** ، و من هنا تنقـلنا عوالم السرديات إلى أماكن مجهولة تسحرنا ، و توهـمنا ســاعة القـــراءة .

يـتـمتـع الحـيز الأدبي باللامحدودية ، بصفته امتـدادا على عـــوالم الطبيعة المفتوحـة في كل الاتجاهات و في مختلـف الآفـــــاق ، و هـذا مـا يأخـذ بـه **عبـد المالـك مرتـاض** ‹‹ إن الروائـــي المحـترف ، المتأنـــق المتألق ؛ هو الذي يستطيـــع التعامل مع حـيزه تعاملا بارعـا ، فـيتخـــــذ منـه إطـارا ماديا ، يستحضر من خلاله كل المشكـــــلات السرديـــة الأخـــرى ، مثل الشخصيـة ، و الحـــدث و الزمن .›› (1)

و عليه فأن المعـــيار اللغـوي ، هو الذي يتحكم في الحـــيـز ، وفق الحـيزية اللغـوية للرواية ، في حين أن أحـــــــياز الفـــــنون الأخـــرى ، تـــــنبني على استخـــدام وسائل أخـــرى ، كاللون و الصياغة مثلا.

كما تعد حيزية اللغة نظاما لســـانيا ، بالنظـــر إلى ضمنيتها ، لكن الأحياز التقـليدية كثيرة الشبه بتلك الأحيـاز الجغـــــرافية و المعمارية ، و هذا ما يجعلنا نميز بين الحيز الأدبي ، بوصفه فضاء للكتابـة ، و الحيز الجغرافي المغلق أو المفتـــــــــــوح .

---

(1) – مرتاض عبد المالك ، في نظرية الرواية ' بحث في تقنية السرد ، منشورات عالم المعرفة ،الكويت ،1978 ، العدد98 ، ص157

إن الحيـــــز المكانـــي ، هـــو الفضاء الذي تتحـــــدد داخلـــــه مختلف المشاهد ، و الصور، و المناظر و الدلالات و الرموز ، التي تشكل العمـــــود الفـــقـــري للنص الأدبي ؛ إذ يعد الخلفيـــة المشهدية للشخصية الروائية ، فهو مسرح الأحداث و الهـــواجس ، التي تصنعها الذاكرة برموزها المتنـــوعة ، ما دامت صيرورة النص جـــزءا من صيرورة الواقـــــــع ، و آليات المكان ما هي إلا وسيلة من الوسائل الرئيسة ، لـــرصد الواقع على مستوى السرد .

فالحيز الروائي في النص الحـــديث ، ساحة للصراع الدائـــــم ، بين الروائي ، و الأصوات المتناقضة انـــه يواجـــــه ضرورات فنية ، و معنوية تفرضها رؤاه ، و منطلقاته السردية ، ليتحـــــدد بذلك الحيز المفترض ، ويشير **عبد المالك مرتاض** في هذا المجال بأن ‹‹ مصطلح الحيز لا يبرح غير قـار ، و لا يجمع عليه في الاستعمـــــال العربـــي المعاصر ، كما أن مفهـــــــوم الحيز، ينشأ عنـــه بالضرورة الحديث عن التحييـز (spatialisation) ، الذي هو نتاج لنوع من الحيز، أو كيفية للتعامل معه .›› (1)

و **يحـدد** باشلار الحيز على أنـه ‹‹ وعـــاء للحـدث و الشخصيـــة ، أو إطـار لهما معا ، و لغيـــرهما من عناصر الرواية ، فهو خلفية واضحة مثلما هو بعد مستقيـــم ، أو دائري يتســـع لحركة أو مسيـــرة الحـــــــــــــــــدث ›› (2)

لقد ظفـر الحيـز بالـدور المهـم ، فـي تصويـــــــر الإطارالقصصي، الذي تبـدو فـيه الفـكرة الجـوهـــرية ، أو الحدث الأساسي في العمل الســـردي ، إذ لا يمكن لأي ناقد أن يتجاهـل أو يتخلى أثناء التحليل السردي عن الحيـز ، كما لا يمكن للمؤلف ، أن يكتب رواية أو نصـا خارج إطاره بوصفـه ‹‹ مشكلا أساسيا في الكتابة الحداثيـــــة .›› (3)

---

(1) – مرتاض عبد المالك ، أي : دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص102

(2) – باشلار جاستون ، جماليات المكان ، تر: غالب هلسا ، بغداد ، منشورات الثقافة و الإعلام ، 1980 ، ص22

(3) – مرتاض عبد المالك ، نظرية الرواية ' بحث في تقنية السرد ، م ، س ، ص67

إن مدلول الحيز لدى **عبد الملك مرتاض** ، لا يخرج عن مفهـــوم التشكيل الذي يطـــرأ على المكـان بمفهومه الضيق ، فهو لا يدل على مفهوم المكان ، بل أوسع و أشمل منه ؛ إنه مظهر من مظاهر الجغرافيا.

و اللافت للنظر، أن **عبد الملك مرتاض** يرفع من قيمة الحيز، و يجعل بالمقـــابل الفضاء قاصرا، لأنه جار في الفراغ والخواء ‹‹ إن مصطلح الفضاء من منظورنا - على الأقل - قاصر بالقياس مع الحيز ، لأن الفضـاء مـن الضـــــرورة ، أن يكـون معنـاه جـــاريا فـي الخـواء و الفـــراغ ، بينمـا الحيـز لدينـا ينصـــرف استعمـــاله إلى النتـــوء ، و الوزن و الثقل و الحجم و الشكل ...على حين أن المكان نريد أن نقفـه في العمل الروائي ،على مفهوم الحيز الجغـــــرافي وحـــده ›› (1).

و من بين الروائييـــن الذين تعاملـوا مع الحـيز بدقة ، نذكر منهم **فلوبير** (Flaubert) في روايتـــه "مدام بوفـاري " ، كما يتســـم الحـــيز الروائي بالجمالية والإيحاء ، و يتفـــاوت الروائيون في استخدام الحـيز من حـيث القـدرات ، و بـــراعـة التصويـــر، لرسمـه و تحديـد معالمـه ، لجعله طرفا فاعلا في البنية السرديـــــــــــة .

لم ينـل الحيز في الدراسات العربيـة ، ما نـالتـه باقـي العناصر السرديـة ، من اهتمام و هـو ما يذهب إليه **عبد المالك مرتاض** حين يشير أنـه ‹‹ علـى الرغـم من العناية الشديـدة ، التي حظي بها الحيز في الإبداع الأدبي ، بمخـتلف أجـناسه ، لم يحض بها في الدراسات ، و التحليـلات العربيـــة للرواية أيـــن ظل التعامل مع الحيـــز ، جاريا بشـيء من الاستحيـــاء ، والتـــردد على عكس التعامل مع الشخصية ، و المكونات الأخـــــــــــــرى . ›› (2)

---

(1) – مرتاض عبد المالك ، نظرية الرواية ' بحث في تقنية السرد ، م ، س ، ص144

(2) – مرتاض عبد المالك ، م ، ن ، ص 201

و من بين الباحـــــثـــين الذيـــن تناولـــوا مصطلح الحيـــــز، **عبد الحميد بورايو** في دراسته "المكان و الزمان في الرواية الجزائرية " فقد ميز في بحثه ، بين مصطلحين " الحيز النصي" و"الحيز المكاني " يقصد بالنصي ، الصورة الشكليـــة التي يقدم بها النـــص الروائي للقـــارئ .

أما الحيز المكاني فهو الذي يشمل الأماكـــــن ، سواء منها المتخيل ، أو الفعل الذي له مرجعية واقعية ، و هذا ما يحيل بنا إلى التساؤل الآتي :

هل الحيز هو الدال ؟ أم هو المدلول ؟ ، أو بعبارة أخرى ، هل الحيز هو المتحدث ؟ أم المتحدث عنه؟

و في رأينا ، فالحـــيز في حقيقة أمره ، يقوم بدور الدال طورا ، و بدور المدلول طورا آخـــر، وهوا لمتحدث و المتحدث عنه ، و ما بينها من تقاطب .

ويذهب أ.د. أليكساندروف (A.D. Alexandrov) إلى تقديم الحيـــز بوصفه ‹‹ مجموعة من الأشياء المنسجمة من الظواهر، والاحوال والوظائف و الصور، و التفسيرات المتخيرة ، التي توجدها علاقات تشبه العلاقات الحيزية العاديـــة . ›› (1)

فإذا كان الزمان ، متسلطا على كل شيء ، فان الحيـز لا يقـل عنه تسلطا ؛ فهو يكاد يتولج في جميع العوالم ، فكل شيء إلا و له ارتباط بالحيز و الزمان جميعا ، فالحـــــيز عالم بلا حدود ، انه امـــــــــتداد مستمر مفـــــتوح في كـل الآفـــــــــاق .

لقد تفـــرد **عبد المالك مرتاض** بمصطلح الحيز ، والمتتبـــع لأعماله النقـــدية ، من خلال كتابـــه " في نظرية الروايـة بحث في تقـنية الســـرد " يستخلص مدى اهتمامه بهذا المفهوم الذي استقـاه أثناء

---

(1)- مرتاض عبد المالك ، في نظرية الأدب"بحث تقنية السرد ، دار المغرب للنشر و التوزيع ، ص192

دراسته للرواية العربية ؛ الامرالذي جعله يتوصل إلى أنه ‹‹ لم ير أحدا من كتاب العربية ممن اشتغلوا بنقد الأدب الروائي ، أو التنظير للكتابـــــة الروائية ، يخصص فصلا مستقـلا لهذا الحيز (أو الفضاء بالمصطلح الشائع في النقد العربي المعاصر) ، عدا **حميد لحمداني** الذي خـــص هذه المسألـة بفصل مستقل ، تحت عنـــوان ' الفضاء الحكائـــــي' ››. (1)

فهو من خلال حكمه ، يريد إبراز أحقيته في التطرق إلى مفهوم الحيـز، مبررا ذلك بندرة المصطلح في الأعمال النقدية ، و في رأيينا أن مفهوم الحيز، الذي يؤثره **عبد المالك مرتاض** ، هو مفهوم الفضاء نفسه و إنما الاختلاف يكمن في الدلالة بين المفهـــومين ، في النقد الكلاسيكي و النقد المعاصر .

وهذا ما يتوافق مع ما أورده الباحث **بشير محمودي** ، الذي يرى أن ‹‹ الباحث مرتاض عبدالمالك يعتمد مصطلح الحيـــــز بدل مصطلح الفضاء ، و يعطيه مظاهر مثل ما أعطى باحثون آخرون للفضاء مظاهر كذلك ، وهي مظاهـــر متقـــاربة على ما يبدو (الحيز الجغرافي / الحيز النصي/ الحيز الدلالي) و يقابلها على مستـــوى الفضاء (الفضاء الجغرافي / الفضاء النصي / الفضاء الدلالي) فيمكن أن تكون هذه الإشكالية مجرد اختـــــلاف التسميـــة ›› .(2)

غيـــــــر أن الإشكالية الواردة ، فهي تتعلق في التقـــــارب الكبير، بين مفهـــوم المصطلحـين لـما يـؤديـــا نـــه من معنـــــى .

ثانيا : **مصطلح المكان في مقابل الفضاء** :

لقد تعددت المصطلحات المرادفة للفضـــاء ، و أبرزها مصطلح المكان فهو لغة ؛ مشتق من المكان و المكانة ، و يعني المكان؛ موضوع كون الشيء ، و حصولـه

---

(1)- مرتاض عبد المالك ، في نظرية الرواية ' بحث في تقنيات السرد ، م ، س ، ص131

(2)- بشير محمودي ، نظرية الرواية في النقد الجزائري الحديث ، م ، س ، ص 286

أما اصطلاحا ، فقـد تناول الدارســـون هذا المصطلـــــــح ، كإطـــار تسيـــــر عليه الأحـــــداث في الرواية ، وفق نظرة المـؤلف ، و ما يتركه المكان من أثـــــر نفســـي ، و اجـتماعي في نفسيه المؤلف ، من خـلال تفاعـــل و تصـارع الشخوص ، لكونـه (المكـان) مرتبـــط بالـذهـــن ، ينمو و يتطور بـقـدر ما يتوفـر عليه المبدع من سعة الخيـــــال .

انه يجلي أيضا مدى قدرته على إيجاد العلاقات الوطيدة ، بين الحقـيقة و الخيال ، للوصـول بالمتـلقي إلى الهدف الذي يريده ، و فسح المجال للتأويل الذي لا يناقـض الحـقيقة ، و الفهـم الصـائب لدلالـة الأمكنـة و علاقاتها بالأشخاص ، و ما توحي بـه من دلالات تستـنـبـط من قياســـات خاضـعة للفهم العمـيـق في التعامل مع طبيعة الشخيـات ، و ما تنشئه من انسجـــام بين مختلف الأمكنة ؛ وهـذا ، ما يتطابق مع آراء **غاستون** في كتابه جمالية المكان الذي يـرى أن ‹‹ المكـان ممسوك بواسطة الخيـال ، ليظل محايدا خاضـعا لقـــياسات ، و تقـييم ما في الأرض ›› . (1)

ولعل أول من اهتـــم بدراسة المكـان ، هم النقـــاد الفـرنسيـــــون مـا بيـــــن الستينيات والسبعينيـــات من أمثـال **جـــورج بولي** (G.Poulet) **و جليـــبر دوران** (Gerard Dauron) **و رولان بـــروتوف** (Roulan Brouttof) ، الذين أسهـــموا بقـــدر كبير في لـــفـت الانتبـــــاه إلى مصطلح المكـان ، و دوره في بناء العمل الإبداعي .

لقـــد اختلـف النقـــــاد في التسميات ، فمنهم من .أطلق عليه (الحيز المكاني) و منهم من أطلق عليه (المكان) ، و عرفوه آخرون بمفهوم الفضاء .

و **للمكان** في الرواية أهمية جـوهرية ، لا لكونه أحد عناصرها الفنية ، أو لأنـه المكـان الـذي تجـري فـيه الأحداث ، و موضع تتحرك فيه الشخصيات فحسب ، بل لأنـــه ؛ يتحول من بعض الأعمال المتميـــزة

(1)- سمر روحي الفيصل ، الرواية العربية / البناء و الرؤية /، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2005 ، ص42

إلى فضاء ، يحتوي كل العـــــــناصر الروائية ، بما في ذلك من حـــــوادث و شخصيـــــات وما بينها من علاقات ، يمنحها المنـــاخ الذي تفاعل فيه ، و تعـبر عن وجهة نظـــرها ، ليكون المكان فيها مساهما في تطوير بناء الرواية ، حاملا لرؤية البطل و ممثلا لمنظور المؤلـــــف .

لم يعد المكان عنصرا مضافا في الرواية ، لكنه يتخـــذ أشكالا ، و يتضمن معاني عـديدة ، بل يكون أحيانا هو الهـــــدف في وجود العمل الروائي كله ؛ انه قائم في خيال المتلقي وليس في العالم الخارجـــي فعندما يستعيـن الروائـــي بوصف المكـــان ، أو تسميته ، فهو يسعى إلى تصوير المكان الروائي لتحقيق إثـــــارة خيال المتلقـــــــــــي .

لقد تناول الباحـــث **حميد لحمدانـــي** المكان في الدراسات الروائيـــــــة ، حين تطرق إلى مجموعة من المصطلحات ذات الصلة بالمفهوم ، غير أنه أبدى ترجيحه إلى عنصر المكان في الرواية ، مقتـديا بكثير من النقاد المشتغلـين بالعمل الروائي ، لما للمصطلح من شمولية و اتســـاع .

و مما يلاحظ عليه (المكان) ، أنه نما في الرواية نموا تدريجيا ، بدءا من وظيفته التقليدية كديكور للحدث الروائي و خلفيته ، إلى أن صار مكونا جوهريا في الرواية ، بفضل ما يتوافر عليه من سمات .

يعد المكان أحد العناصر الجوهرية التي تساهم في بناء النص ؛ انه يكتسب بعدا تشكـــيليا يجعل العـــين القصصية تستجيب له دون عناء ؛لاكتفائها بالملاحظة و المشاهدة ، و قد يتحول المكان إلى بعد جمالـــي من أبعاد النص الســـردي لما يوفره من إمكانية الغوص في أعماق البنية الضمنية للنص و أجوائه .

على الرغم من ندرة الأعمال النقـديـــــة المتعلقة بالمكان ، فإنها ترتكـــز على أهميته و تعتبره جوهـــرا في إيجاد و توفـــــير العمل الفنـــــي مع بقية العناصر السردية الأخرى التي تساهم في بناء الحدث الحكائي ، إذ لا يمكننا تصور أحداث قصصية دون وجود مكان تنمو فـــيه و تتشعـــب .

وقد اعتمـد كثيـر من النقـاد ، مصطلح المكان دون مفهومـــي الفضاء و الحيـــز، و نشيـر على سبيل المثال إلى مجهوـدات الباحثة **سيزا القاسم** في كـتابها ' بناء الرواية ' التي التزمت فيه استخدام كلمة – المكان- اتساقـا مع لغة النقد العربي ؛ و المكان لديها يمثل الخلفـية التـي تتفاعل و تتمظهر فـــيها أحـــداث الروايـــــة .

و من الذين وظفوا مصطلح المكان الباحث **حبيب مونســي** في دراستـــه " فلسفة المكان في الشعر العربـي " فهو لا يخالف مفهوم بقـية النقاد و الباحـــثين ‹‹ كل ملامسة للمكان ، إنما هي ملامسة لشبكة العلاقـــات التي تربط الأشخاص ، و بالمجال المعـــيشي ارتبـــاط و جود ، و انتماء و هـــوية ، فالمسألة المكانية لا تقف عـند حدود التأطيـــر فحسب ، أنما تتعداها إلى مجالات أوسع ، تضطلع بها الدراسات الإنسانية في مختلف اهتماماتها و حـقـــولها . ›› (1)

يأتي المكان بوصفه أساسيا في تكوين حيـــاة الفرد ، بتـثبيـت هويتـــــه ، و تحديد طبعه ، و توجيهه عن طريق ما يوفره له من التصـــاق حميمـي بينه و بين الإنسان ، و هذا ما يؤكده الباحث **ابراهيم عباس** ‹‹ إن المكان بإمكانـه أن يصبح محددا أساسيا للمادة الحكائية ، و لتلاحق الأحـــداث و الحوافـز؛ أي أنـــه يتحول في النهاية إلى مكون روائي جوهـري، يحدث قـطيعة مع مفهومه كديكـور، و بتحولـه هذا يصير عنصرا متحكما في الوظيفة الحكائية ، و الرمزية للسرد ، بفضل بنيته و العلائق المترتبة عنها . ›› (2)

عبر هذا القول ، تتجلى أهمية المكـان الذي يتصف بالبنية السطحية (ديكور) عندما يخضع إلى منطق تتابع الأحداث و الحوافز، بحـيث يمكن مسكـــه و تمثلـــه يسهولة عـنـدما يخضع إلى عرض سطحي

(1) – حبيب مونسي ، فلسفة المكان في الشعر العربي 'قراءة موضوعاتية جمالية ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2001 ، ص7

(2)- ابراهيم عباس ،البنية السردية في الرواية المغاربية ، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر و الاشهار، 2001 ، ص34

و لكـــنه يصبح ذا بنية عـميقـة لما يتحول إلى عنصر، يساهم في شبكة علائقـية مع بقية العناصر السردية ، فيشكل رمـــزا دلاليا ، يمتـلـك وظيفتـــة العـميقـــة ذات بعـــد إيحائـــي ، يتحكم في وظيفـــة الســـرد ، أو الحكي بعامـــة .

و تناول **حميد لحمـــداني** مصطلـتح المكان بالتركيـــز على أهميتـــه ، و دوره في العمل الروائـي ‹‹ إن المكـــان يساهـــم في خلـــق المعـــنى داخل الرواية ، و لا يكون دائـما تابعا أو سلبا ، بل انه أحيانـــا ، يمكن للراوي أن يحول عـنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم .›› (1)

للمكـان دور جـوهري فـي تكـوين الفضـاء ، كمـا هـو أداة للتعـبير عـــن مواقـف الشخصـية و مؤشـر للانغـــلاق ، أو الانفـتاح ، يحيـل إلـى معنـــاه الرمـزي مستمـــد مـن تصـورات الإنـــسان و مفـــاهـــيمه الذهـنية ، وفق توصيفـــه و ميـــــزاته.

فالقرية في رواية ' ريح الجـنوب ' مثلا هي تعـــبير عن موقف ' نفـــــيسة ' من القيـود و الانغـلاق إن المكان يؤســـس الحكـي ، و يجعل المظاهـر المتخيلة داخل الرواية مماثلة لمظاهـر حـقيقيـــة ، انـه ليس بمثابة الإطار العـرفي التكميلي فقط، بل إن علاقـته بالإنســـان علاقة جوهـرية ، تـلزم ذات الإنسان و كـيانه فالعناصـر الطبيعـــية ' كـالهواء و المـاء و النـار' لا ترد لتدل علـى معنـى ، و لكنهـا تكون مشـحونة بـدلالات يكسبها الإنسان معاني متجددة من خلال تجـربته الحـــسية ، و الخـــيالية .

فضيـــق المكان مثـلا يرمـز إلى القيود و الأزمات ، في حـين أن انفـتاحه يرمـــزالى الحريـة و الانطـلاق و تحديد المكان لا يؤدي دور الإيهام بالواقع الروائي فحسب ، بل يصـور أماكن و مواقع واقعـــية حـــقـــيقة

(1) – حميد لحمداني ، بنية النص السردي ، م ، س ، ص70

و متخيلـــة ، تساهـــم في بلـورة شعـــرية النـــص الروائـــي ، التي تؤثـــر بدورها على القـــارئ

إن المكان لا يعيش بمعزل عن بقـية العـناصر السردية الاخـرى ، إنما يدخـــل في علاقات متعـددة مع المكونات الحكائيـــة تأثيـــرا و تأثـــــــــرا ، فلا وجـود إذن ؛ لمكان فـارغ ، لأنـه يحمل في طياتـه قيـما تنتـج من خلال البنـاء الفـني ، و التـوظـيف الاجـتماعي ؛ فهـو البنية الأساسية في تركيب الحـدث الحكائي ، و أبراز بـنيـاتـه الفنيـــة .

فلا يمكـننا إذن ، أن نتخيل بطلا أو شخصية قصصية ، تفكـر و تتفـاعل مع شخصيـــة آخري ، تراقـب و تحلل الأوضاع الأيديـولوجية و الاجـــتماعـية أو اثـبات رؤاها ، إلا من داخل المكان ، أو من خلاله و تحويلـه إلـى بعد جمالي من أبعاد النـص السردي ، و مـا يمنحـه من إمكانيـــة الغـوص في أعمـــاق البنيـــة الضمنيـة داخل النص و أجوائه ، و رصـد تفاعلاته و تناقضاتـــه .

إن معـا يشـة المكان ، تـكون علـى عدة مستوايـــات ، من الـــراوي بوصفـــه كائنا تخـيليـا و من الشخصيات و القارئ ، الذي يقـــدم بدوره و جـهة نظـــره ، فيحقـق (المكـان) شبكة من العلاقات و الرؤى ، تتضامن و تتعالق ، لتشيـيد في النهاية الفضاء الروائي الذي هو مسرح الأحداث .

يعد المكان أهـم العناصر الجـــوهرية في تشكيل فضـــــاء الرواية ، لما يوفـره من دلالة في الخطاب السردي ، كما يشير في هذا الإطار **عبد الحميد المحادين** : ‹‹ انـه من أبـرز تقـنيات الرواية الدالـة و ذلك من خـلال الحضـور و الغـياب ، و قد يوجز الروائـي متخيلا لا يرتبط موضوعـيا بمكـان بذاتـه و قـد يكون الفضاء المكاني محددا ترتبط أبعاده بتقـنيات أخـــرى .›› (1)

---

(1)- عبد الحميد المحادين ، التقنيات السردية في رواية عبد الرحمن منيف ، المؤسسة العربية للدراسات ، الاردن ، ط1 1999 ، ص19

وضمن هـــذا الطرح تبـيين لأهـميـــة المكان ، سواء أكان معـــلوما بذاتـــه يلامسه الإنسان و يعايشه أو متخـيلا ، لا يبـــدو للعيان في الواقع الطبيعي ؛ إلا أنه يحقق الوظيفـــة الحكائيـــة ، و يجلي الدلالـــة التعبيرية التي يريدها المؤلـــف ، عن طريق تعاقب زمني يتجـــسد بين الفضـــــاءين ‹‹ ... و تقـــوم علاقة وثيقة بين الفضاء الزماني ، والمكاني والمتخيل ، ويتعالق مع تقنيات الســـــرد بشكل أو بآخر، كما ينشأ بينه وبين الموضوع ،علاقة تفسيرية هامة ، تحدد أبعاده التقـنية و أهمية البنية التي يبرزها الروائي .›› (1)

وهـذا ما يعني ؛ أن للمكان أهمـية في تقـنية و جمال العمل الروائي ، سـواء أكان مكانـــا واقـعـيا أو متخيلا ، يخدم الجانب الفني للرواية ، بواسطة تعـالق الزمان و المكان ، لإبراز الدلالة المكانية ، وعـمق الإيحاء المستـنـبـط من المكان الفردي أو الأمكنة الجـماعية ، والتي تنتج رؤى المؤلف ، و مدى تفاعـله معه و انعكاساتـــه النفسيـــــــة .

انـه لا وجود لرواية دون فضاء مكاني ، كون الروائي ينطلق من مكان واقـعي ، فيدعمه بتقنيات فـنية ليحولـه إلـى عمل فـني يسـاير أحداث الروايـة ، أو يتخيـل بـدوره مكانـا يلعب دورا بـارزا فـي دفـع حركـة الشخوص ، و سير الاحداث للوصول إلى الغاية التي يهدف المؤلف إلى تحقـيقها ، من خلال العمل الروائي.

و مـا دام المكان مرتبطـا بالإنسـان ، فلابـد أن يكون حضـوره أساسيا فـي البنـاء السردي ، و هو التلاحم الذي تتحدث عـنه **نبيلة ابراهيم** التي تـرى بأن ‹‹ عـلاقة الإنسان بالمكان بدأت تشغل المفكرين فـي الآونـة الأخيرة ، وربما يرجع السبب في هذا إلـى تخلخل علاقـة الإنسـان بأقدم مكـان وأرسـخه ، هو الأرض ، نتيجـة أبحاث الفضاء التي تـلح على اكتشاف عوالم مكانية أخرى ، تنافس الأرض في علاقـتها بالإنسان.››(2)

(1)- عبد الحميد المحادين ، التقنيات السردية في رواية عبد الرحمن منيف ، المؤسسة العربية للدراسات ، الاردن ، ط1 1999 ، ص20

(1)- عبد الحميد المحادين ، التقنيات السردية في رواية عبد الرحمن منيف ، م ، ن ، ص26

و هـذا ما يبرير حاجة الإنســـــــان إلى المكان ، و احـتوائه له بفعل طبيعته الشخصية ، و النفـــسية و الاجتماعية ؛ فهو يلازمه مـدة حياته ، و يستقـــر فيه

و يختلف المكان الروائي عن المكان الطبيعي ، إذ أنه لا يتضح إلا باختـــراق الشخصيات الروائيـة فيظهر من خلال وجهات نظـرها ، و شبكة علاقـــاتها و رؤاها ، فالمكان جامد ، و أن الاختـراق يجعله نابضـا بالـدلالات ، و الأحـداث ، يتـأثر بـه و يؤثـر فيـه بحيـث أن ‹‹ الإنسـان يـرتبط بالعـالم الخـارجي الموضوعي الذي يظل يتأثر به ، و يأخذ عـــنه . ›› (1)

لقد احـتل المكـان حيـزا كبيـرا فـي الشعـر العربـي القـديم ، فـي المقـدمات الطلليـة ، و وصـف الطبيعـة الجامدة و المتحركـة ، لكنـه لم يحظ بدراسات هامـة في أدبنـا النثـــري ، و لعل انصـراف النقاد عن دراسـة المكان هو انشغالهم بالمضامين الفكرية ، و الاجتماعـية و السياسية للرواية، حتى جاء الاهتمام به مع التقنيات الحداثيـــة للروايـة ؛ فـبدأ يحتـل مكانتـة فـي السـرد الروائـي لطبعتـه التـي لا تقل أهميـة عـن العناصـر الفـنية الأخرى المكونة للخطاب الروائي .

و قد ساهم الفكر العربي في تقـديم الدراسات و البحوث حول المكـان و جمالياتـه ، ممـا دفـــع بـالروائيين إلـى تضمـــينه فـي كـــتاباتهم الســـردية ، كـــونه مظهـرا جمـــــاليا فـي النصـوص الروائيـة بعامـة والروائيـة المعاصـرة بخاصـة ، ويـــــــرى **باشـلار** أن ‹‹ العمـل الأدبـي إذا افتقـــد مكانتـه ، فهـذا يعنـي أنـه افتقـد خصوصيته و بالتالي أصالته ؛ و لهـــــذا يعـــــد المكـــــان ضروريـــا فـي تكوين البنيـــــة السردية و ميزة من مميزات الروايـــــــة ، سواء في العمل الروائي التقليدي أو الجديد ، باعتباره الإطار الذي تجـري فـــيه أحداث النص.›› (2)

---

(1)- نبيلة ابراهيم ، فن القص بين النظرية و التطبيق ،ط2 ، دمشق ، سنة 2002 ، ص140،139

(2)- بن الطاهر يحي ، واقع المثقف الجزائري من خلال تجربة العشق للطاهر وطار، منشورات تبيين الجاحظية ، ص99.

إن للمكان تباين في النصوص الروائية من حيث طابعه و اتساعه و ضيقه ، و كذا انفتاحه و انغلاقه و على الرغم من اختلاف هندسته و خصوصيته ، فقد تتخذ بعض الأمكنة مسارح للأحداث ، و يكون لها حضور قوي في الخطاب السردي ، أو تتضاءل و تختفي وظيفتها أحيانا أخرى ، و ذلك ما يتأكد لدى **حميد لحمداني** ‹‹ ... بعض الأمكنة لها خصوصيات تجعلها دائما مادة أساسية في الرواية.›› (1)

و هكذا يكون المكان هو الذي يحدد المادة الحكائية و تلاحق الأحداث ، فيتحول من مفهومه الديكوري إلى عنصر جوهري ، يتحكم في الوظيفة الحكائية و الرمزية للسرد ، ليساهم في خلق المعنى داخل الرواية ؛ لارتباطه بالدلالة الحضارية الملازمة له ، كما يمكن النظر إليه من زاوية فكرية ، فهو ليس مجرد مكان موضوعي محايد، إنما مكان روائي فني ، يتم تصويره من خلال رؤية و عبر التفاعل مع الشخصيات و الحوادث فهو؛ إذن يحمل قيمة و يمثلها أو يرمز إليها.

وقد ميز **غالب هلسا** بين ثلاثة أنواع بحسب تمظهرات المكان داخل العمل الروائي :

- **المكان المجازي** : الذي نجده في رواية الأحداث ، هو مساحة لوقوعها؛ لا يتجاوز دوره التوضيح ، و لا يعبر عن تفاعل الشخصيات و تحركاتها عبر العمل السردي، و هو مكان سلبي و مستسلم لا يكون مهما بقدر ما هو مكمل للأحداث الروائية .

- **المكان الهندسي** : هو الذي تصوره الرواية بدقة محايدة ، و تنقل أبعاده البصرية فتعيش مسافاته وجزئياته دون أن تلامسه أو تعيش فيه.

- **المكان بوصفه تجربة** : هي تجربة تحمل معاناة الشخصيات و أفكارها و رؤيتها للمكان ، و تثير خيال المتلقي ؛ فيستحضره بوصفه مكانا خاصا و مميزا ، تتطور فيه الأحداث ، و تقرأ فيه المواصفات .

(1)– حميد لحمداني ، بنية النص السردي ، م ، س ، ص72

انه من الطبيعي ، أن أي حـــدث لا يمكن أن يتصور وقـوعـــه إلا ضمن إطار مكاني معين ، يفرض على الروائـي أن يكـون دائم الحاجة إلى تأطيـره ، باختلاف درجته من رواية إلى أخرى ، الأمر الذي جعل **هنري ميتران** يعـتبر المكان جوهر الحكي ؛ لأنـه يجعل من القـصة المتخيلة تحتوي على مظهر مماثل لمظهر الحـقيقـية ، و مطابق للواقـــــــــع .

إن مقاربة مفهوم المكان من مصطلح الفضاء لدى كثير من النقــاد و الباحثين ، يجـعـلنا نسلم بـأن الأول مكون للثاني ، أو هـو مجموع الأمكنة .

و بغية التعبيـــر عن التفـــرقة بين المصطلحات ، لقد بين **عبد المالك مرتاض** أن مصطلح الـفـضاء من المنظورالعام - على الأقل - قاصر بالقياس إلى الحـيز، لان الفضاء من الضرورة أن يكون معـــناه جاريا في الفراغ ، و الخـــواء بينما ‹‹ الحيز لدينا ينصرف استعماله النتوء و الوزن و الثقل ، و الحجم والشكل ، في حين أن المكان نريد أن نقفه في العمل الروائي على مفهوم الحـيز الجغرافي .›› (1)

من خلال هذا الرأي نجد أن الباحث يقـر بأن الحـيز من ابتداعه ، و الفضاء مصطلح شائـــع بين كثير من النقـــاد العرب المعاصرين، و حديث في الاستعمال النقـــدي .

و هذا ما جعله يخالف ، معظم النقـــاد الذين يفـضلون استعمال المكان دون الفضاء ، فيحـدد بذلك **جـابر عصفـور** خـلفـيات المكـان فـي سيـاق حـديثه عـــن الصـورة الفـنية ، التـي لا تتوافـر إلا حـين يكـتسب صفتـــــــــه ، من خلال إعطائه القيمة الدلالية ، التي تمييـــز بين الظواهر المكانيـة المتشابهة .

(1)- مرتاض عبد المالك ، في نظرية الرواية ' بحث في تقنيات السرد ، م ، س ، ص23

وعـليه ، فهذه المسميـات ، هي مـفـاهيم لمصطلح واحد ، دال على وعـاء خـارجي تزداد قـيمته كلمـا كـان متداخلا مع العمل الفـني ، و الأعمال الروائية التي تستخدم جغـرافـية الزمن .

فـلا مبرر أن نتجاهل في بحثنا ، حدود العلاقة بين المكـان و الزمـان، ولاشك أن مسألة ارتباطهما شـيء وارد لا سبيل لإنكـاره ، فـلا وجـود لمكـان بـدون زمانـه ، وأن الإحسـاس بفعاليـة المكـان رهـين بالإحسـاس بفعـــالية الزمان ، فهما يشكلان مع باقي المكونات السردية الأخـرى بنية قصصية تعكس رؤيـة المؤلف لعالمـــه .

و تعامل الشاعر الجاهلي مع المكان ، كما لو كـان ضـحية أزليـة للزمـان ؛ لان الزمن يحـول ديـار الأحبـة إلى أطلال ، ويباعـد بين الشاعر ومحـبوبته ، فهو في نظره ظالم ، ومتسلط لا يرحم ، فإذا كان المكـان غـير مقيد لا تحـده ضوابط في تتابع الاحداث الروائية ؛ فهو عالم مرئـي ظـاهر للعـيان ، يمكننـا معرفتـه والتحقق من وجوده ، بينما الزمان قـوة خـفـية نشعـــر به من خلال ما يفعله بالانـسـان .

أما الشخصية التي تتأثر به ؛ فإنها لا تتأثر إلا من خلال فعل الزمن فـي ذلك المكـان ، فالمـــزاوجة بين الزمان والمكان " الزمكـــانية " ، التي تبـــــنى عـن وعي عـمـيق ، وحـس دقيـــق ، توضح أن حركـة و إرادة الزمان لا تتم إلا في المكان ، ومن هنا نجد أنـه إذا كان الزمـــن يمثل الخط الذي تسيـــر عـليه الأحداث ، فان المكان يظهر على ذلك الخط يصاحبه و يحتويـــه .

و اللافت للنظر، أن الناقـد حـين ينظـر فـي زمـن القـص التخيلي، يـرى من خلالـه أن طبيعـة زمـن الوقائع (المتعددة الأبعاد) يدعـوه زمن القص (الأحادي) ، ليمارس فعل الإيهام بعد أحاديته أي بواقعيتـــه بحيث أن **رولان بارث** (R.Parthes) يتقـدم بأن ‹‹ الزمنيـــة ليست سوى مستوى بنيـــوي من مستويات

السرد (الخطاب) مثلما هو في اللغة ، فالزمن لا يوجد إلا في شكل نسق ، و ما نسميه من وجهة نظر السارد بالزمن لا وجود له إلا بوظيفيته ، باعتباره من عناصر نظام سيميائي .›› (1)

و لما سبق ، يكون الزمن لا ينتمي إلى الخطاب بمفهومه الضيق ، بل ينتمي إلى المرجع ، و أن السرد واللغة ، لا يعرفان إلا الزمن السيميولوجي ، فتكون بذلك حقيقته وهم مرجعي ، أو واقعي .

إن حضور الزمن لا يقل أهمية عن الحضور المكاني في السرد ؛ حتى و إن تم التركيز على عنصر المكان في العمل القصصي ، فهذا لا يعني إطلاقا تجريده من قيمته المادية و الرمزية ، كما أشار إليه **محمد برادة** في العلاقة بين الزمن و المكان ، و هي العلاقة التي تشخص جدلية الواقع في الحياة و هو ما يتوافق مع تسميته ' بالزمكان ' ، فالتركيز على عنصر دون آخر، لا يعني بالضرورة إهمال باقي المقومات الأخرى ، التي ينبني عليها العمل الأدبي في جانبه الحكائي .

للمكان سعة الدلالة ، إذ لا يمكننا الحديث عن مكان واحد ، بقدر ما هناك تعددية مكانية من منظور وجهات نظر الشخصيات ، و الراوي ‹‹ فالمكان إذن ليس مكانا جغرافيا ، بل هو مكان روائي بكل ما تعنيه الكلمة . ›› (2) .

انه يفرز دلالات جمالية ، تضفي طابعا فنيا على العمل الروائي ، ويجعله كائنا يؤثر و يتأثر، و يولد أبعادا رمزية تنتجها الأجواء النفسية المتأزمة لدى المؤلفين ، كما تشكل الأمكنة عوالم خاصة وفق توجهات رومنتيكية تمتزج فيها ذات الكاتب بالمكان امتزاجا عضويا .

يعد المكان من المبادئ الأساسية للمنهج السردي ، لذا نراه يوظف في مختلف الأجناس الأدبية ، بحسب بنائها المتناسب مع سير الأحداث ، فبه تتجسد كل الطموحات و الآمال ، **فهو الوحيد الذي يستطيع**

(1)- سامية أسعد ، القصة القصيرة و قضية المكان ، مجلة فصول ، المجلد2 ، العدد4 ، 1982 ، ص 57

(2) – مرتاض عبد المالك ، في نظرية الرواية بحث في تقنية السرد ، م ، س ، ص 57 - 58

من خلاله الراوي بسط مشاعره ، و أحاسيســـه دون وجل ، متجاوزا لواقعه ، فيساعـد المبـــدع حين يتأسس في النـص الأدبي ، وفق بنية متشـظية ، بنية متحولة مفتوحة ، رهـينة القـــــراءة و تحولاتها قـابلة للتـــأويل المتعـــدد باستمـــرار.

إن البـعـد الـدلالي للمكـان – بوصفه مفهـوما سيميائيا – هـو الذي يمكن الروائي من إضفاء و إسقاط الحـــالات النفـسيـــة للشـخـصيات عـلى المكان ، بحيث يصبـــــح جزءا من طبيعة الشخصية ، وتعبيرا عن مشاعـرها ، فـيكون المكان الصلب المهيمن على بقية الأمكنة ، يعكس صلابة الشخصية و قـوتها .

فالمكان و الشخصية يتبـــــــــادلان الدلالات و المعانـــي في النص الروائي ، كما يظهر في روايـــة ' حجارة بوبيللو ' **لادوار الخـــــــراط** من إبراز لدلالـــــة المكان الصحراوي و ما له من قسوة و حرارة و ملامح الشخصية الروائية ، و أبعادها الجسدية و النفسية ‹‹ طويـــل القامـــــة ...قائـــم العـود ناحـل جدا ...و لكنـه صـلب لا مكـــسر لـــه ، و لـيس عليـه إلا قـميص باهت البيـاض ..جلـس علـى الرمـل بانـت ركبتـــــــــاه ... ›› (1)

انـــه في الرواية ؛ دليل ينفـتح عبر عـملية التدلل على العـــالم ، لهذا يـأتي مكـتنزا بـالمعنى ، وببساطة لا مكـان بـدون معنـــى ، فالمكـان الهـــــادئ علـــى سـبيل المثـال للـبعض يبعـث علـى الملـل والضجـــر والانغـــــــلاق، وبالنسبة لآخرين يدل عـلى الطمأنية والعـيـش الهـادئ ، فالأمكنـة ‹‹ أهـداف وبؤر، فيها الأحداث ذات المعنـــى لوجـــــوده . ›› (2)

ترتبط الأشكال المكانيـــــة ، وتجلياتـــها ، بما يوحي به الرمز، فالأمكنـــــة الضيقـــة ترمز إلى الفضاءات المغلقة المكبلة بالأعراف ، و التقاليد، التي تشكل حاجزا لتمرد الكائن الإنساني

(1) – ادوار الخراط ، حجارة بوبيللو ، م ، س ، ص57 - 58

(2) – جريدة الاسبوع الادبي ، العدد 1085، التاريخ 2008/01/05 ، ص71

مثـل ' نفـيسة ' في ريــح الجــنـوب ' وإكثار المؤلف من الأمكـنة المفـتوحة ، هـو إشارة إلـى الانفـتاح لذاته وعلى الآخر، وهكذا فان المكان في رمزيته ، يتجاوز وظيفتة الدلالية والمعرفـية المــألوفة إلى دلالـة أعمق ، فالبـيوت و الغرف تشكل أنمـوذجا ملائما لدارسة الآلفـة و لمظاهـر الحـياة الداخـليــة ، التي تعـيشها الشخصيات ، لأن بيت الإنســان امـتداد لـــــه للعلاقة الحميمية ، و الرابط المتين بينهما كموضع معلــوم .

ومهمـا اخـــتلف الزمـان ، فـسيبـقى شاهــدا علـى آثـاره ، مجسـدا لبصماتـــــــــــــه مـن خـلال الحــركة و السكون ، وما يعكسه على مخـتلف مستويات الحـياة البشرية ، لأنك إذا وصفـت البيت ، فــقــد وصفت الإنسان الذي يعيش فيه ، فالبيـــوت تعبر عـــــن أصحابها (1)

أنـــــواع الفضـــاء :

إن الدراسات الحديثـة التي تناولت الفضاء ، لم تصل إلى نظريـــة متكاملة ، فهي ما تـزال فـي بدايتها و ما سجل حول المفهـوم ، إلا اجـــتهادات فرديــة متفرقـة ، ساهــمت بقـدر ملائم في تطويره ، ممـا أدى بالدراسات النقـــدية لا تقـــدم مفهـــوما واحدا للفضـاء ، يتفـق حولـه النقـاد ، و الباحثـــون علـى تصـور واحد ، مما أدى بهم إلى اعتماد مفاهيم مخـتلفـة و متـنـوعـــة .

لقد ظفـر الباحث **حميد لحمداني** في تجمـيع أهم مكونات الفـضاء الروائي ، مع إبداء رأيه ، و المضي يبعضها إلى حد التماس مع حقـول أخرى ، فهو يدرك تعدد الاتجاهات النظريـــة بخصـوص المصطلح غـير أنه يحصر هـذه المكونات في أربعة أنـواع في كتابه ' بنية الــنص السردي' أوجزها في (الفـــضاء كمعـادل للمكـان ، الفـــضاء الدلالـــــي ، الفضـاء كمنظـور أو كرؤيـة ، و الفضـاء النصـي) ، إلـى جانـب التقـــسيمات الأخرى ، التـي تتضمن التسميات نفسهـــا .

(1) – ينظر : بحراوي حسن ، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ،بيروت ، ط1 ، 1990، ص43

و مهما اختلفت و تعددت تلك التسميات ، إلا أنها لا تختلف في المعنـــى العام بين النقـــاد و الباحثين العرب ، و للتوضيح أكثر لابد من التعرض لها ضمن هذا البحث بمزيد من الإبانة.

1- **الفضاء كمعادل للمكان** :

أطلق عليه مصطلح الفضاء كمعادل للمكان و يسمى عادة الفضاء الجغرافي (L'Espace géographique) ، و يظهر ما يقـــدمه الروائي من إشارات جغرافيـــة ، لتؤدي بدورها نقـــطة انطلاق ، و تحريك لخيال المتلقـــي ، أو من أجل استكشافات مكانية من خلال النص الســـردي ، ليكون في الأخير، معادلا لمفهوم المكان في الرواية ، الذي تصوره القصة المتخيلة ، و الذي ترى فيه الباحثة **جوليا كريستيفيا** (J. Kristivia) ملازمته للدلالة الحضارية ، دون أن تستبعـــد المدلول الثقافي ضمن تصور المكـــان .

و يعتمد هـذا المفهوم ، **حميد لحمداني** بوصفه أنـه ‹‹ يفهم الفـــضاء على أنه الحيـــــــــز المكاني في الحكي بعامة ، ويطلق عليه الحيز الجغرافي . ›› (1) و من ذلك يظهر لنا التداخل بين الحيـــز المكاني و الفضاء الجغرافي ، اللذان يدلان على مفهـــــوم المكان .

2 – الفضـــاء الدلالي :

يتمثل الفضاء الدلالـي (L'espace sémitique) في تعالقـــه بالصور المجازية ، و ما تؤديه من أبعـــاد دلالية ، فهو يتأسس بين المدلول الحقيقي و المدلـــول المجازي . وقد يقصد به الفضـــاء الروائي و من بين الذين تناولوا هذا المفهوم **جيرار جينيت** (G.Genette) بين الحقيقة و المجاز ‹‹ التعبيـــــــر الأدبـي انه لا ينقطع ، يتضاعف و يتعدد إذ يمكن لكلمة واحدة مثلا أن تحمل معنيين تقول البلاغة عن أحدهما أنه حقيقي وعن الآخر بأنه مجازي هناك إذن فضاء يتأسس بين المدلول المجازي و المدلول الحقيقي .›› (2)

---

(1) – حميد لحمداني ، بنية النص السردي ، م ، س ، ص53

(2) – حميد لحمداني ، م ، ن ، ص161

ولعل مفهوم الفـضاء الدلالي يقابله لدى **عبد المالك مرتاض** مفـــهوم الحيـــز الدلالي ، فكل فعـــل روائـي لـه دلالـــة معـــينة ، تسمـــح بتصـوير الحيـــز، و تشكيلـــه فـي الخطـاب السردي ، ومـن هـنا يمكـن القـــول أن الفضاء الدلالي ، يقوم على نظام الدلالـــــة ، أي دلالة الأمكنة في النص ، أو دلالة المكونات الروائيـــــة أو المشكلات السرديـــــــة أساسا ، و في الوقت نفسه الشكل الذي يتخـذه الفضاء .(1)

و ما يمكننا قوله أن الفضاء الدلالي ، يكون ضمن موضوع الصورة في الحكي ، و هو أقـــرب لفـــن الشعـــر منه إلى الفـــن الروائـي إذ ‹‹ ينطلق التحليل السيميائي من فرضية ، مفادها أن الفضـاء نظـام دال يمكن أن نحلله بأحداث التعالـــق بين شكـــل التعـــبير، و مضمـونه ، و ينظر إليه علـى أنـــه مركب كالكـــلام أي ؛ ما يدل عليه (المضمون) ، لا يدل بالضرورة على طبيعة ما يدل عليه التعبير ، و يرتهن في وجوده الدلالي إلى الفعل الممارس فيه ، و القيم المحققة في استعماله . ›› (2)

3 – الفضـاء كمنظور أو كرؤية:

يشير هذا المفهوم إلى الطريقة التي يتمكن الراوي الكاتب ، من الهيمـنة علـى عالمـه الحكـائي بمـا فيـه من أبطال ، و رصـد لتحركاتهم ، من خـلال تفاعل الأحداث داخل العمل الـــــروائي ، و تداخل المكونـات السردية الأخرى ، و مـدى مساهمتها في إنتاج النص الروائي ، بطريقة تجعل المؤلـف يعتمد وجهـة نظر مـن زاويـــة تقـتـــــرب مـن واجهـة الخشبـــة فـي المسرح ؛ ليكون العـــــالم الروائـي، بأبطالـه و مـا يحتـويه مـن أشياء ، يبدو مشدودا إلـى حـوافز و مؤثـرات خفيـة ، يـديرها الســارد ، وفق خطـة مرسومة تســـاهم الشخصيات في دفع حركية أحداثها نحو رؤية المؤلف و مبتغـاه ، و قد يقدم السارد لقطات متعددة و مختلفـة من زوايـا معينـــة ، مما يفرض على الروايـــــة خلق أبعاد مكانية في أذهان الأبطال أنفسهم .

---

(1) ينظر : – G . Genette ,Fugures II; 1976 ; p ; 46- 47

(2) – رشيد بن مالك ، مقدمة في السيميائية السردية ، الجزائر ، دار القصبة للنشر ، 2000 ، ص: 98

4 – الفضـــاء النـــصي :

و يقصد به الحيـز الذي تشغلـــه الكتابة على مساحة الورق (L' Espace Textuel) أو هو الموضع المادي الموجود في الرواية ‹‹ أين يجري فـيه اللقاء بين وعي الكاتب ، و وعي القـــــــارئ . ›› (1)

و قد استمـــد **حميد لحمدانـــي** مفهوم الفضاء النصي ، من **ميشال بيتور** (M. Buttor) بوصفـه بأنه ‹‹ الحيـز الذي تشغله الكتابـة ذاتها ، باعـتبارها أحرفا طباعية عـلى مساحـــة الورق ، و يشمـل تصميم الغـلاف ، و وضع المطالع ، وتنظيم الفصول ، و تغيـــرات الكتابة ، و تشكيـــــــل العـــناوين الأسـاسية و الفرعية و غيرها. ›› (2)

لقد كـان اهتمـام **ميشـال بيتـور** (M.Buttor) بهـــذا المفهـوم كـــبيرا، بحيث لـم يحصـره فـي مجـال الرواية فقط ، إنما نظر إلى فضاء النص بالنسبة لأي جـنس كـان ، مبينـا ذلك من خـلال تعريفه للكتـاب في تقـديمه ‹‹ إن الكتاب كما نعهده اليوم ، هو وضع مجرى الخطاب في أبعاد المدى الثلاثة وفـقا لمقـياس مزدوج هو طول السطر ، و عـلو الصفحة .›› (3)

وبهذا يكون الفضاء النصـــــي؛ فضـاء مكانيا لا يتشكل إلا عـــبر مساحة الكتـاب و أبعاده ، انـه مكـان تتحـرك فيـه عـين القـارئ ، و ببسـاطة هـو فضـاء الكتابـة الروائيـة ، باعتبارهـا طباعـة تتحـدد فيهـا أهميتـه لارتباطها بمضمون الحكي ، و تحـديد طبيعـة تعامل القـــارئ مع النـــص الروائي ، كونـه كـثيرا مـا يوجـه القـــارئ إلى فهم و قراءة تأويل العمل السردي ، وقد تناول الباحـــث **حميد لحمداني** هـذه القضايا

---

(1) – بحراوي حسن ، بنية الشكل الروائي ، م ، س ، ص28

(2) - حميد لحمداني ، بنية النص السردي ، م ، س ، ص55

(3) – ميشال بتور، بحوث في الرواية الجديدة ، تر: فريد انطونيوس، منشورات عويدات ، بيروت ، ط1 ، 1971 ، ص112

المصطلحاتية عن طريق تناول أنواع الكتابـــة الموجودة على مستـــــوى النصوص السردية ، مشيرا إلى الكتابة العموديـــــة و الكتابـــة المتوازيـــة ، و كذا تحديد مفهـــوم تصميم الغلاف ، و أنواعه ، إضافة إلـى إبـرازه لمفهـوم البيـاض ، و وظيفتـه فـي الخطـــاب السـردي ، و هـذا مـا نتناولـه لاحقـا فـي الجانـب التطبيقـــــــــي لروايـــــــــة " البحث عن الوجه الآخر "لمحمد عرعار .

لا تنفرد الرواية بالفضاء النصي ، لكـنه يمكننا العثور علـى مظـاهر شكلـــــه ، فـي جميع الكتب أولها الكتابة الأفقية ، التي يؤخذ فيها بعين الاعتبار استغلال الصفحة بشكل عادي ، و كيفية الكتابة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، و تعطي هذه الطريقة في الكتابة الانطباع بتـزاحم الأحداث ، و الأفـــكار بذهـن البطل في النص الروائي ، و ثانـيها الكـتابة العـمودية يكون فيها استغلال الصفحة بطريقـة جـزئية ، كأن توضع الكـــتابة عن اليمين ، أو في الوسط أو على اليسار ، وتكون في النصوص الأدبية أسطـرا قصيرة تشغل جزءا من الصفحة مع تفاوتها في الطـــول .

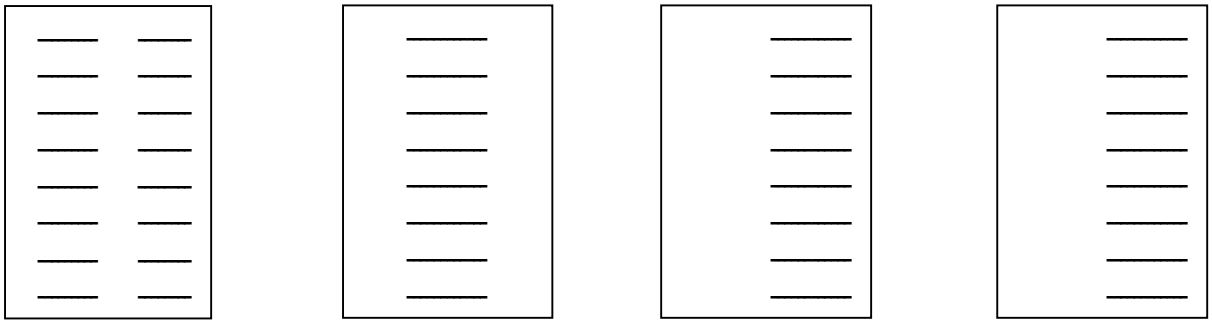

و قد أخذ الفضاء النصي في السنوات الأخيرة طريقه إلى النقد العربي ، ويمكننا اعتبار أعـــــمال الباحـث **حميد لحمداني** في كتابه " بنية النـــص الســـــردي من منظـور النقد الأدبي " و **حسن بحراوي** في كتابـــه " بنية الشكـــل الروائي " ، و كذا أعمال **طاهر روابنيـــة** في دراستـه سيميائيـــة الفـــضاء في روايـــة ' الجازية و الدراويش' ، و **شريبط أحمد شريبط** في كتابـــــــــه ' بنية الفضاء في رواية ' غدا يوم جديـــد ' من أوائل الأبحاث و الدراسات لتمثيل الفضاء النصي في العمل القصصي بعامة .

إن **جـــوليا كريســتيفيا** ، حـــينما تتنـــــاول الحـديـــث عـــن الفـــضـــــاء النصـــي للروايـــــــة (Espace Textuel du roman) ، إنها تعني به الرؤيـــــــة التي يتم بها النظـــــر إلى العالم الروائي و القصصي بحيث تـرى أن ‹‹ الفـضاء النصـــي مرصود بوجهة النظـــــر الوحيدة للكاتب ، التـي تهيمن على مجموع الخطاب ، لأن النص بكامله مجمع في نقطة واحدة ، و الخطـــوط كلها تظهـر في العمـق حيث يقـبع الكاتب ، و هــذه الخطوط هــي الأبطـال الفاعلون ، الذين تنتج الملفـوظات السردية بواسطتهم المشهد الروائي أو القصصي .›› (1)

إن ما يقـصده **ميشـال بـــيـتور** بالفـضاء النصـي ، و الذي اعـتمده **حـميد لحمداني** في النص السابـق بذكـر مشكـلات الفضـاء النصـي ، لا يخـتلف عـــنه لدى جيرار جينيت (J. Genette) في مفـــهومه للمتعاليات النصيـــــــــــة .

أما الفضاء النصي لدى **سعيد يقطيـــن** ؛ هـو الطريقة التي يتشـــكل بها الـــنص ،على سطح الصفحة و شـكل تقـطيع أجزائـه ، و مكوناتـه ، التـي تتشـكل مـن خـلال القـراءة ، و الانسـجام المحكـم بـين مخـــتلف عـناصرها وعـوالم النص و فـضاءاتـــــــته .

ومن المظاهـر التي أشار إليها النقـــاد ، الكتابة الأفقية و العـموديـــة ، بمخـتلف أشكالها داخل الصفحة كالكتابـة المائـلة و الممططة ، و التـأطير (الصـفحة داخل الصـفحة) ، والبيـاض الـذي يعلـن عـادة عـن نهايـة الفـصل ، أو نقطة محـددة في الزمان ، و المكان ، بما له من دلالات معينـــة ، تخضع لرغـبة الســـــارد و هـدفـــه ، في تصـور الأحـــداث ، و عـرض الشخصيات .

و قـد يوجـد بصـــــورة طبيعيـــة لأهـــداف تشكيلـية لهـا علاقـــة بـالنص ، إمـا تشكيـــلا واقـعيا يشيـــــر بشكل مباشـــــر إلى أحداث القصة أو - على الأقل- إلى مشهـــد منها ، والتشكيل التجـريـدي

(1) – حميد لحمداني ، بنية النص السردي ، من منظور النقد الأدبي ، م ، س ، ص61

في درجـــــة أعـــلى ، تستمـــد من خـــبـــرة فـنيـــــة ، تتوافـــر لدى المتلقي لإدراك دلالاتـه بتصور القصة و كأنها ماثلـــــة أمامـــــــــــــه .

الفضاء النصي يظهر جليا في اعـتماد كل ومضة صفحة خاصة ، و توظيف شكل هـندسي توزيعي بحيث توزع الأسطر على مساحة الورق ، و حجم انتشارها ، وحجم تنظيم البيـــاض ، و السواد على الورق و نوعية الكتابة ، و أحرفها الطباعية ، انه النظر إلى طريقة تنظيـم البياض و السواد عـلى الورق.

إن الفـضاء أو المكـان أو الحيـز، و إن اختلفـت أراء النقـاد و البـاحثين حـول أي مفهـوم أكـــثر دقـــة و أشمل استعـمال ، و أفـضل أهـــميـــــة ، إلا أن مصطلح الفضـاء يعـــد من أبـــرز مكاسب الحـركة النقديـــة الغـــربية و العـربيـــة على حد ســـــــــــواء .

تشكيل الفضاء في الرواية التقليدية

من خلال دراستنا لروايــة "ريــح الجنوب " لابن هدوقة ، التي تدور أحداثها حول فضاءين مركزيين واقع القرية المأســاوي ، و الحــنين إلى المدينة ، إذ القرية ما هي إلا فضاء مبهم تتجمع فيه كل أسباب اليأس و الضياع .

و الفضاء يفهم على أنه الحيز المكانـــي في الرواية ، الذي عادة ما يطلق عليه الفضاء الجغرافي ، لأن الروائي يقدم لنا أمكنة ذات حدود واقعيـــــة ، تكاد تكون معلومة مبينة بإشارات جغرافية ، تمثل للقارئ نقطة انطلاق ، يتحرك فيها خيالـه ، و يمهـد لاكتشاف الأماكن منهجيا دون عناء .

الفضاء الجغرافي :

تستهل رواية ' ريح الجــنوب ' بوضع مضطرب ناتــج عن عــدم قـدرة ' نفــيسة ' على الانسجـام مع ما يفـرزه عالـــم القرية ، و ما تمليه القيــم الريفــية ، و القواعد العرفيـــــة .

فضاء القرية :

لقد شغل فضاء القريـــة حيزا في بنية النص السردي ، إذ هي امتداد للدشرة ، لكنها أرقى منـها في أمور توفر أدنى ضرورات الحياة ، و باعتبارها مكانا محـدودا ، استطـاع الروائي أن يصور معالم القرية تصويرا دقيقا ، يوصل القارئ بتفكير بسيط إلى التعـرف على حقيقة تلك القرية ؛ التي لاتختلف عن باقي قـــــــــــرى الجزائر .

- ... على أن الحقيقة هي أن القرية فقيرة ، سواء اتفق السكان أو اختلفوا و أنها منعزلة عن كل شيء ، سواء تفرقت بيوتهم أو تجمعت، ثم أن هناك ميزة أخرى لها وهي أن معظم شبانـــها يعملون في فـرنسا ، أما مثقفـوها يعدون على رؤوس الأصابع وهم لا يعيشون في القرية . (1)

(1)- عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، مؤسسة النشر و التوزيع ، الجزائر ، ط1، 1974 ، ص66

فالقرية مكان واقعي معلوم ، له خصائصه ، يكاد لا يختلف عن كثير من الأمكنة الجزائرية المتشابهة في شتى المجالات كالعزلة ، و الاحتياج ، و الظروف القاسية ، التي عادة ما تكون سببا في هجرة الطبقة المثقفـــة إلى حيث الحضارة و النمو.

إن للأمكنة خصوصيات ، تجعلها أساسية في الرواية ، كونها تتسم في العمل الروائـي بميزة جمالية تختلف من مؤلف إلى آخر ، فمحور الريف / المدينة يسيطران على أعمال ابن هدوقة الروائية ، بحيث يتداخل فضـــاء الريف بفضاء المدينة ، مشكـلا نسجا متشـابكا من العلاقـات و الإيحاءات و الدلالات << إن تسميـة الأماكن ليست مهمة ، بل ما يجري في هذه الأماكن ، و مدى الترابط بين المكان المرسوم في الرواية ، و الأحداث التي تجري في هذا المكان ، و بالعلاقة معه . >> (1)

و بهذا فالأمكنة تخضع في تشكلاتها إلى مقياس مرتبـط بالاتساع ، و الضيـق ، أو الانفـتاح و الانغلاق ، إضافة إلى اختلافها من حيث الطبيعة ، و نوعية الاشياء التي توجد بهـا .

* المسافة بين هذه القرية و القرية المركزية لا تتجاوز الخمسة عشر كيلو مترا

لكن السيارة تقطعها في مدة لا تقل عن الأربعين دقيقة ، لان الطريق ليست معبدة. (2)

ان تعيين المسافـة الممتدة بين القرية ، و القرية المركزية ، يجعل المتلقي يكشف أكثر من تأويل بسبب ما عاشته الجزائر بعامة ، و القرى بخاصة ، من تهميش وغياب التنمية الحقيقـية ، التي تأخذ بيد المحتاجين ، مما أثر سلبا على الجانبيـن الاجتماعي ، و الاقتصادي ، فكانت قرى الجزائر صورة طبق الأصل لكثير منها ، لا نكاد نميز بينها عبـــــر مختلف الجهات .

(1)- عبد الحميد المحامدين ، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف ، م ، س، ص92

(2)- عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، م ، س ، ص42

* فكرت أن الأشهر التي تقضيها بهذه القرية ، سوف تكون شاقة عليها سواء

من ناحية العزلة أو من ناحية الحياة الريفية الخشنة التي لم تتعود عليها . (1)

لقـد أصبح فضاء القرية بالنسبة ' لنفيسة ' فضاء مملا ، لا تطيقه ، و لا ترغب فيه ؛ فهو يرغمها على العزلة ، و يخيفها من مستقبل مجهول ، لا تتصور ما يخبئ لها الزمان ، فتصير بذلك حالمة تهددها المخاوف لمحدودية القرية في مجالات تطوير الحياة .

- إن أمي تمنعني من الخروج هنا ... في هذه القرية الخالية ، بينما .... (2)

يوحي هذا المقطع بالتمييز بين الجنسين ، من توزيع فضائي ، يخضع لنظام القيم ، التي تتحكم في علاقة الفاعلين داخل المجتمع ، و بالتالي فان تغيير الأفضية يؤدي بالضرورة إلى تغيير في القيم استنادا إلى مبدأ الاختلاف المميز للفضاءات ، و من هنا فان انتقال ' نفيسة 'من المدينة إلى القرية هو انتقال من نظام قيمي إلى نظام آخر جديد ، مختلف عن الأول ، فهو يضعها أمام أمرين إما بإلغاء ذاتها و دخولها مكرهة في قناعات الآخرين ، أو أن تصمد و تدافع عن قناعتها أمامهم .

تأخذ ثنائية المدينة والريف أشكالا مختلفة ، و تقوم العلاقة بينهما في الثقافة العربية على الصراع بحيث تغدو المدينة هي الأقوى ، بما تمثله من سيطرة قوية ، و مركزية في الحياة ، بينما الحالة المزرية للقرية ، و سوء ظروف العيش جعلا ' نفيسة ' ترفض كل شيء فيها ، و تحلم بحياة المدينة ، لأنها تمثل لها التفوق ، و التطلع إلى ما هو أفضل .

إن المتتبع للمقاطع السردية التي تظهر فيها الشخصية مكتئبة يائسة ، ساخرة من تقاليد القرية يدرك مدى أهمية المكان في دفع الحدث الروائي ، و تنوعه بتنوع الأمكنة ، التي ترسم و تصف الحالة النفسية للشخصية ، كما تعكس في الوقت نفسه رمز التراث و الأصالة

(1) – ابن هدوقة ، ريح الجنوب ، م ، س ، ص38
(2) – الروايـــة ، م ، ن ، ص8

لقد أعطى السارد في روايـــــة " ريـح الجـنوب " للمكان أهـمية جوهرية ، كونـه يؤطـر أحداث و وقائع الرواية ، و يحيل على أمكنة واقعية معروفة لدى المتلقي بوصفه << يمثـل دورا بـــارزا في النـص الروائـي ، أو يشغل حيزا ثانويا فيه ، قد يكون حركيا فعالا، أو ثابتا سكونـيا ، و قد يكون متناسقـا ، أو غير متناسق واضح الملامح أو غامض.>> (1)

فضاء السوق :

* ... و سافر الأب و ابنه إلى السوق ... أما نفيسـة ..... (2)

إن فضاء السوق ، فضاء ذكوري يقتصر على الرجال ، حكم تقيـده التقاليد و القيم ، فلا مجال للمرأة في اختراقه ، وهذا ما ولد لدى 'نفيسة ' الكـراهـية لأخـيها الأصغر، لا منه كطفل في حد ذاته ، بل لتجـرده من الممنوعات العرفية ، و اكتسابـه لحرية أوسـع في الحيـاة .

* لأنه يستطيع الذهاب إلى السوق أو الخروج إلى حيث أراد

أما أنا فـمنذ جئت من الجزائـــــــــــر و أنا سجينـــة ... (3)

فضاء المقهى :

للمقهـى حـضور كـبير في الروايـة العـربية ، التقـلـيدية و الجـديدة عـلى حد سـواء ، إذ يـعـد أهـم فضاء اجـتماعـي مـركـزي ، تتحـرك فيه الشخـوص ، ممـا يجـعلنا نـدرك مختلف الأحـاسيس للنمـاذج القـصصية << فالمقهـى تشكـل نواة الانطلاق إلى رحم المجـتمع . >> (4)

انـــه أبـرز مـا يمـيز الحـياة الإنسانية ، فـي عـالمي المدينـة و الريـف ، بحـيث يتخـذ أبعـادا جـمالية للدلالة الروائيـة كما في رواية (ريح الجـنوب) ، انـه مـركـز تجـمع القـرويـيـن لطـرح إنشغالاتـــــــهم و مناقشة قـضاياهم ، و موقع تعـرفـهم عـلى أخـبار القـرية ، و القـرى المجـاورة .

(1) – ايت عبـد الرحيم فوزية ، المسارات السردية في رواية قاع المدينة ، النشر و التوزيع ، ط 1 ، ص16

(2) – ابن هدوقة ، ريح الجنوب ، م ، س ، ص21

(3) – الروايـــــة ، م ، ن ، ص36

(4) – أحـمد طالب ، الأدب الجزائري الحـديث ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، ط1 ، ص75

يشغل حيز المقهى في القرية مكانا بارزا في حياة المجتمع الريفي ، يجتمع فيه القرويون كل مساء للعب ، و مدارسة أمور القريـة و تجميع ما بها من أخبـار و روايات قاصيـــــــة و دانيـــــة

* جاء للمقهى لا ليشرب القهوة ، و لا بغاية الجلوس فـــــيها مع روادها...

و لكن ليسمع ما جد من جـــديد في حياة القرية التي يسكن بها أو بالقرى المجاورة، إذ بالمقهى تستقى الأنباء عما يجري في قرى الناحية . . . (1)

و قد أعطى المؤلف الاهتمام البالغ للمقهى ، الذي يتخذه نواة تلاقـــي أهل القريـــة بالتركيز على وصفه ، ليشير إلى بساطة شاغليه ، و إشارة ضمنية إلى واقع القرية << ... بالمقهى مقعد طويل من خشب ، أحصرة حلفاء مفـروشة بها الأرض .>> (2)

لعل الوصف الدقيق لجزئيات المقهى ، و تتبع كل تفاصيله ، هو الذي أدى بالمؤلف إلى إظهار الحقيقـــة لسمات المكان و مكوناتـه ، و بهذه التقنية يصل إلى تقريب الشخصيات ، و التعرف على كثيـــــر من الطبائع ، و السيكولوجيـا ، التي توصف بها شخصياتـــه من خلال الأحداث و الوقا ئع السرديـــة .

يمثل فضاء المقهى ، أحسن مكان يلتقي فيه سكان القرية دون موعد ، و لا هدف ، تطبعه التلقـــائية و البساطـــة في تبادل الآراء ، و التداول فـــيها لكثيـــر من الأمور التي تهم القرية و مصيرها ، فهو فضاء يذكر و ينسي ، مريح لمن يتخذه مكان تسليـــة ، وجـالب للقلـــــق و المعاناة لمن شهد المأساة إبان الثورة و ما آلت إليه القـــــرية بعد الاستدمـــــار الأجنبي.

---

(1) – ابن هدوقة ، ريح الجنوب ، م ، س ، ص77

(2) – الروايـــــة ، ع ، ن ، ص76

فضاء الغرفة :

ليست الغــرفة مجـرد شكل هندسي ، إنما هي عــنصر ضروري يدخل في علاقة تضاد مع رغبــة ' نفـيسة ' في اللجـــوء إلى الراحة أثـناء فـتــرة العطلة .

- الحجـرة ضيقة طولها ثلاثة أمتار، و عرضها كذلك ، بها كوة مطلة
- على جزء من البستان ، ارتفاعها سبعون سنتم ، و عرضها خمسون سنتم
- و بهذه الساحة السرير القديم الذي تنام عليه نفيسة ، و خزانة أشد قدما منه ... (1)

يعد هذا المقطع السردي ، تجسيدا واقعيا لفضاء الغرفة بكل التفاصيل ، يعمق فضاء القريــة المهيمن على نفسية الشخـصية ، منذ حلولها بها لقـضاء العطلة السنوية ، فالروائي من خلال تدقـيقــه لتفاصيل الغرفة ، جعله يوفـر للقارئ جهد التخميــن ، و التفكير في واقع الأمكنـــة .

فالحيز المتمثل في غرفــة ' نفيسة ' عنصـــر هام يكاد يطغى على مجـــريات الرواية و أمكنتها لارتباطه بالشخصية ، في دلالة لا تتعدى مجال طابع القرية بكل ما تحتويه من قيم و عادات ، ففضاء الغرفة شاهد على معاناة الشخصية المحورية ، المصممة على عدم قــبول المظاهر القروية و مكتسباتها .

ومن هنا يكون للغرفة مدلولها المتسم بالقبح ، و الباعث على الانقباض ليتعالق ضديا بالمنظر الخلفي الجميل ، الدال عن الانشراح ، الذي تضفي إليه كوة الغرفة المفتــوحة بشكل يتوافـق لما تريده ' نفيسة ' ، ففضاء الغـرفة يساهم في عزل الشخصية عن العالم الخارجي ، و سلــب حريتـــــــــها جراء الأسلـــــوب المسلــط عــليها ، من طرف السلطة الأبويـــة المتمثلــة في ابن القاضـــي أو التقاليد و القــيم القروية ، مما يجعلها تعيش الاختناق ، و اليأس و التـذمـر .

(1) – ابن هدوقة ، ريح الجنوب ، م ، س ، ص8

إن الوضـع الذي آلت إليه 'نفـيسة ' جاء نتيجة عجزها عن التعبير ، و عدم قدرتها عن تجاوز المعيق الفضائي المثقــل بالمنع ، لأن الفضاء مربوط بطبيعة القيم المستثمرة فيه ، و رفضها لفضاء القرية ينطلق من مفهومها لمحــدودية الحـياة بها ، وانعدام المرافـــق الضرورية من جهة ، و سيطرة القيم من جهة ثانية ، مما أدى بها إلى تجديد الحنين إلى المدينـــــة .

* أكاد أجن من هذا الصمت ... جدران أربعة و سقف من خشب. و صمت .

أكـــاد أخـتـنـق من هذا السكـــون ، و هـــــــذا الصمت ...

أكـــــاد أتفجـــــــــــــــــر ، أكاد أتفجر في هذه الصحراء . (1)

لقد أدركـت ' نفـيسة ' جيدا أن القيـــــم في فضاء القرية لا توفر الاستقـرار، و التوازن بين الطبقات و لا تستجـيب لطموحات الإنسان المشروعة ، في رغـبـتة لحيـــاة أفضل ، بل تؤدي إلى خلق أزمة ثقة في القـيم التي تفـرزها مظاهر، و مقـومات القرية.

* الكوخ الذي تسكنه أمه البكماء ... يقع في ربوة مشرفة على بساتين القـــرية...

و هكذا يقع كوخ أم رابح الراعي على ربوة في الجهة الغربية من الوادي ... (2)

فالفـضاء هنا فضاء حميمي ، يتوافـــق مع ما أشار إليه **باشلار** بأن البيت << فضاء ألفة بامتـياز تجد فيها الذات صورتها الحقيقية ، التي تسعي إلى أن تكون كما هـــي . .>> (3)

لم يعد المكان منفـصلا عن الشخصية في العمل الروائي ، فلا تتحدد ملامح الشخصية إلا من خلال بنـيته المكانية ، لأنه يمنحها حقـها من الإيهام و التأثير، حـتى تصل إلى المتلقي ، و لذلك تكون للمكان أهميتـة في العمل السردي لا تقل عن الشخصيـــة ، و الحدث .

(1) - ابن هدوقة ، ريح الجنوب ، م ، س ، ص8

(2) – الروايـــة ، م ، ن ، ص102

(3) – غاستون باشلار، جماليات المكان ، م ، س ، ص 31

لعل تركيز **ابن هدوقة** على التصوير الدقيق للبيت ، و مكوناته هدفه إبراز البساطة ، و العوز و الفقر ، فترد صورة البيت متباينة في الرواية من حيث التسمية و المواصفات ، و اللوازم (الحجرة ، الكوخ ، البيت) فتتجلى في تنوع الدلالات و الصور.

إن ضوابط المكان في الأعمال الروائية ، عادة ما تتصل بلحظات الوصف التي تتفاوت و تتناسب في الظهور مع النظام السردي ، إلى جانب تغيير الأحداث ، و نموها المؤدي إلى تعدد الأمكنة ، إما اتساعا ، أو تقلصا و انغلاقا .

و **للمكان** دور بارز في العمل الروائي ، مهما كانت أهميته في الخطاب السردي ، جماعيا مألوفا موصوفا ، أو فرديا مبهما ساكنا ، فمن خلال دراستنا لرواية (ريح الجنوب) تتضح لنا التحولات الدلالية المحورية لفضاءين ، يفترض أنهما مركزيان في النص السردي القرية / المدينة ، بحيث تبدأ الرواية بالوضع المضطرب ، الناجم عن عدم مقدرة 'نفسية ' على الانسجام مع ما تفرزه القرية من متناقضات .

* القنابل الذرية التي يتحدثون عنها لا تستطيع

أن تجعل مكانه ، أشد خرابا من هذه القرية.... (1)

فالشخصية من خلال هذا المقطع ، تعيش حالة ضياع كلي ، تجسده الصورة التي تترجم الواقع المأسوي للقرية (المنفى ، الغربة ، الخراب ، المقبرة....الخ) ، و فضاء القرية في سكونه وثباته ، وافتقاده لعناصر الحياة ، مضاد لرغبتها ، فالشخصية ترى فيه الموت ، و الانتهاء اللذين يعيقان تحقيق ما تفكر فيه وتزداد معاناتها عمقا ، بضيق فضائها العائلي المتسم بعدم التجانس .

(1) – عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، م ، س ، ص8

لم تعد الغرفة مجرد ديكور هندسي ،بل أصبحت عنصرا مهما ، يوضح علاقة التضاد مع رغبة الشخصية ، في طرح ما تعانيه من متاعب قاسية ، ومن ثم تأخذ الغرفة مدلولها الذي يشير إلى البساطة ، والتواضع ، المولد للانقباض من جهة ، والانشراح الذي ترتاح إليه (نفيسة) من خلال كوة الحجرة المفتوحة من جهة ثانية ، أين تجد متنفسا لما تراه يتلاءم مع ما تتطلع إليه من طموحات ، و أفكار.

إن انتقال ' نفسية ' من فضاء المدينة إلى فضاء القرية ؛ هو انتقال في حد ذاته من عالم حياتي مضيء ، إلى عالم قاتم مظلم ، تميزه قيم وقوانين ثابتة ، لا تخضع لأي منطق ، سوى نظام العرف و التقاليد، يبدو فيه "ابن القاضي" مالكا له ، ومسيطرا عليه ، يستهلكه ، ويجتازه كما يريد فتجد (نفسية) ذاتها حبيسة هذا الفضاء ، فهي تعتقد فيه كل شيء ، ولكنها ترفضه لأنه مبهم تتشابك فيه كل أسباب اليأس، و الضياع .

و بالمقابل، نجدها تحن لفضاء المدينة ، لأنه يوفر الحرية للأفكار و الرغبات ، فلا تجد صعوبة في ممارسة حضورها فيه ، وترى أن فضاء القرية بقيمه المتسلطة ، لا يهدف إلى الإبقاء على الترابط الاجتماعي، بل يكرس التفكك و يصبو لاستلاب الحريات.

تتناول الرواية الجزائرية التطبيق التغليبي للفضاء الجغرافي، بوصفه يشكل سلطة كبيرة على بقية أنواع الفضاءات الروائية الأخرى ، وهذا ما يظهر بوضوح في رواية (ريح الجنوب) ، وما يصنف ضمن الروايات التقليدية ، التي يمثل فيها النضال حضورا كاملا ، ليقابله المكان في أبعاده المادية الظاهرة، ويتسع مجاله في رواية (ابن هدوقة) أين يركز الروائي على الوصف الدقيق للأمكنة.

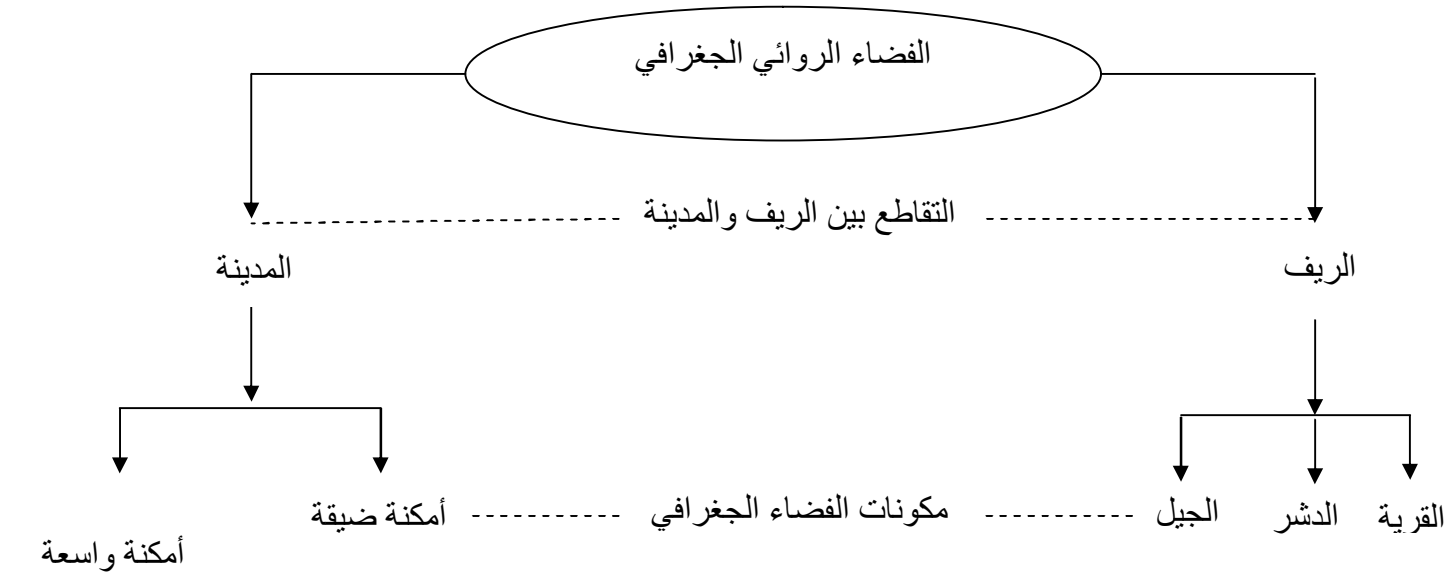

من هذه الخطاطة يتبين التقاطب المكاني المغلق ، و المفتوح ، الذي يتحقق للقارئ من خلال المتن الروائي، فالبيت مثلا ، يمثل الحضور الدلالي للفضاء ، و اثبات لجوده في الحدث العام للرواية ، لما يشكله من أهمية في مسار الأحداث واستمرارها ، لأن البيت << واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام إنسانية ... >> (1) ، فالقرية مسيجة بالأخطار والبقاء فيها معاناة ، والمدينة فضاء السكينة ، و الاستقرار النفسي.

الفضاء مادة حلمية بامتياز، إنه غريب قلق مرتاب ، ومدهش ، يتشكل وفق قوانين تسري على الواقع المرجعي، وبالتالي يتفتح بتشكيلاته وطفراته على إمكانات فذة للتأويل ، والممارسة ، فبستنطق المادة الحلمية ومقاربتها قدر الإمكان ، وقد جاءت أحلامها على صنفين :

الصنف الأول:

كانت الأحلام ترد كصدى للواقع المرجعي وامتداد له ، فعندما لا تكتفي لحظات الواقع المرجعي بتأمل واقعة من الوقائع ، تندفع إلى منطقة اللاوعي، حيث يكتمل تحليلها والتشبع منها ، وما مدى استهلاكها، ما دام الواقع الحقيقي عاجزا عن احتوائها.

(1) - غاستون باشلار ، جماليات المكان ، م ، س ، ص 32

فكلما عاد للشخصية وعيها ، انتابتها الهموم ، وازدادت ضيقا ، فالحلم بالحياة المتناقضة للواقع المرجعي ، يجلب لها حالة الترويح عن النفس وتجريدها من القلق ، والقنوط ، فيحملها تفكيرها الحلمي إلى حياة أخرى ، بعيدة عن الواقع .

- .... .كانت ترى نفسها في حديقة غناء، تمتد إلى ما لا نهاية.....

من الإنسجام ... وإذا هي تشعر أنها في جنة [1]

ففي هذا المقطع تنتقل إلى فضاء التخيل ، للتعبير عما عجزت عنه في الواقع ،علها تجد هدوءا نفسيا ، يوفر لها الاستقرار السيكولوجي ، انطلاقا من السكون الذي لا يكلف الشخصية أي جهد في حصزله.

- كان ينظر إلى الغرفة التي صيرتها أفكاره المضطربة

مجلدا ضخما ، معقد الكلمات مستغلق المعاني..

وكأنه يبحث في صفحاته العريضة عن ماضيه ، و حاضره و مستقبله. [2]

إن المقطع يبرز وقعا مفرطا لتفكير الشخصية ، و هيامها ، التي تحاول التحليق بين الماضي والحاضر والمستقبل ، فتعيش فضاء حلميا تغوص فيه للتعبير عن المكبوتات ، التي يتعذر البوح بها في الواقع ، أو في الحقيقة التي لا ترضي الشخصية بمظاهرها وتنفر، منها لأسباب تتعارض وأفكارها.

فالفضاء هنا منفلت ، لا يسمح بالإمساك به ، بل هو مستعصي على الإدراك ، دائم الترحال عديم الاستقرار، لا يستطيع المتلقي الوصول به إلى تأويل نهائي ، لأن المؤلف باعتماده التشخيص الدقيق ، يوهم القارئ ، ولا يهتدي للفهم إلا بفك ما في القراءة من رموز و إيحاءات .

(1) - عبد الحميد هدوقة، ريح الجنوب ، م ، س ، ص 207

(2) – لرواية ، م ، ن ، ص74.

الصنف الثاني : يتمثل في الأحـــلام التي يلجأ إليها الروائي ، ليمرر رسالة رمزية ، بعيدا عن الإفصاح لتفـــادي الضرر، و هو ما يقلل من كثافة النص الروائي ، ويجعله مباشـــرا وخطـــابـــيا.

- ....كـــأن المرأة مخلوق شـــاذ، يجب ألا تعامل معاملـــة الأسويـــاء الخروج

الضحك عيب عدم إتقان أعمال بدائية منزلية عيب....كل شيء هنا عيب...[1]

هذا المقطع تجسيد لمكانة المرأة في فضاء القرية ، و حرمانها من أدنى حقوق الإنسانيـــة ، و تأثرها بفضاء مغلق يطبعه التمايز بين الجنسين، يفـــرض عليها واقعا مريـــرا ، وهذا ما يقلل حدود الأمـــل لدى (نفسية) التي ترى الهيمنة المطلقة لقيم ومعتقدات القرية ، وحجبها كل بصيص أمل في التغيير، مما جعلها لا تجد ضالتها في الواقع ، ولا في الحلم ، بسبب تحكم ، و سيطرة العادات و ضوابط القرية ، و توسيع مجال القنوط واليأس ، ورفض الحياة الريفية رفضا انطلاقا من التفكير المعادي.

*.. عندما ركبت القطار، وأنا ذاهبة إلى الجزائر لأول مرة كنت أتخيله ثعبانا ضخما.. (2)

هذا الفضاء وليد استحضار للماضي ، تزاوج فيه الشخصية ، بين متناقضين ، القطار بوصفه وسيلة نقل تراه (نفسية) سبيلا ينقلها من حالة الانهزام أمام مظاهر الفرية ، و عنصر أذى ، ومصدر لما يسببـــه من قلـــق وضـــــرر.

إن تذكـــر أحداث الماضي عن طريق الاسترجاع ، بالاعتماد على الذاكرة ، في استثـــــــــارة ذكريات الماضي عن طريق المنـاجاة النفسيـــــة ، لتحقيق أهـــداف ورؤى تطمح الشخصية ، أو الراوي

(1) – عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، م ، س ، ص36

(2)- الروايـــة ، م ، ن ، ص 215

إلى إثارتها ، وإبرازها لمتطلبات نفسيـــة ، ويبدو هذا الاسترجاع مؤلما ، و مؤثـرا على الشخصية لأنه يذكرها بمسرات الماضي ، لتعيش أكثر ألم ، و مرارة الحاضر الذي تعايشـــــــه ، و الذي يرد أنه << زمن الاسترجاع هو زمن غير محدد ، فالأحداث في الماضي ، وجاء ذكرها في السرد، إنه زمن الانفصال عن الحاضر السلبي والرجوع إلى ما هو إيجابي >> (1)

*.. لو أن الزمان كالفـيلم وأيامـــه كالمشاهـــد، وأجريت عملية تركيب فأزيل اللغم من الجســـر، وأزيل انقـــــلاب القطار وأزيلت كل السنوات التي مـــــرت .... لكانت هـــــذه الآن روليخـــــــــــــــة. (2)

إن إفلات الفضاءات القائمة من سيطرة المنطق ، وصرامة العقل ، يتيح المجال لفضاء الأحلام بمختلف نسوجها ، ويصبح اللاوعي هـــو الذي يتولى تشكيله ، و تصير الفضاءات المعتمة دعوة ملحة للمسرات ، بالهروب من قبضة الواقع ، وصرامته ، ومحاولة التخلص من مظاهره .

وهذا ما يؤكـده كـثير من الروائيين في مقدمات رواياتهم على الرغم مما للرواية من عالم متخيل ، إلا أن ما تتضمنه تلك الروايات من أحداث و وقائع مقتبسة من صميم الواقع لا من وحي الخيال.

*.. قالت خيرة في نفسها وهي ترى القرية في لجنة دكناء من الغبار والتراب. (3)

و**على** الرغم ، من أن الشخصية تعيش حالة الألفة مع فضاء القريـــة ، الذي يجعلها شخصية عادية لا تتأثر بالمظاهر القروية ، إلا أن المقطع السردي المتـرجم لطبيعتها ، يجعلها تشعر بقلق متجدد يمـازج حالة الشخـصية بالمظاهـر الريـفيـة ، مصدر التـجـانس، لتترجم طبيعة التعـــدية على نفـسية الشخصيات ، فكلمـــا تعكـر الجو الطبـيعي ، كانت انعكاساتـــــه موجها للطبائع و السلـوك

(1) – محمد معتوق ، أثر الرواية الواقعية ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1994 ، ص 103

(2) – عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، م ، س ، ص62

(3) - الروايـــــة ، م ، ن ، ص 85.

و لما كان للرواية التقـليديـــــة من خصـائص ، خـلال تـتـبـعـها في تفصيل وصف الأمكنـة ، والمبالغة في تشخيصها ، فأنه لا يمنع من إيجاد فضاءات تتنوع ، بتنوع الأحداث ، كي تحتمي بها الشخصيات أثناء هروبها من الواقع ، الذي لا تطيق معايشـــته.

* .. قامـــــت من فـراشـــــها ، وأخذت تدور في القاعـة الضيقة

لم تكـن تفكـــــر...كانت في حاجـــــة إلى حركـــــــــــة... (1)

إن الحديث عن ضيق القاعة ، ما هو في الحقيقة إلا تشخيص للحالة النفسية التـي تعيشـها الشخصـية و محدودية لنطاق تحركاتها ، فـتعيش ' نفسية ' فضـاء مغلقـــــا ، تنعدم فيـه الرؤيـة والتفكير، للتخلص من الكـبت والقـنوط ، وكـأن لـه حدودا ثابتـة ، تمنعها من الحركـة لتخطـي ذلك الجـو القـاتم ، الـذي يربك الشخصية ، ويجعلها لا تدري ما تصنع ، وهـو في الوقت نفسـه تعبير عن قيود ورواسب مكـبوتة ، تـرى نفسها أسيرتها منذ قـدومها إلى القريـــــة.

- ...وعـــادت نفيـــسة إلى داخل حجرتها وأحست بنشـوة من السرور تغمرها. (2)

لم تكن الفضاءات كلها معادية للشخصية ، بل تخضع لطبيعة الأمكنـة وظـروف الشخصيات في مواجهـة الأزمات ، و تجاوبها مع متناقضات الواقع والوضعيات المحـــــددة.

إن الشخصية تعيش فضاء انشـراح وأمل ، ترى فيه تخلصا من عالم القرية ، الذي لم تجد فيه حيزا لـذاتها نشوة تجعلها تعيش فـترات سرور، تنتقل فـيه من فضاء ضيـق إلـى فضـاء أوسع ، تجد فيـه الـذات الإنسـانية الاطمئنان ، و الانفتاح ، فضاء يخلصها من همـوم القـــرية ، أيـن تنعدم أدنـى الضـروريات ، لتحل بعـالم الآمال و التطلعات ، تنقـل من فضاء العـبودية و الخراب ، إلى فضاء الحرية و الاطمئـنان .

---

(1) - عبـد الحـميد بـن هـدوقة ، ريـح الجـنوب ، م ، س ، ص 104

(2) – الروايـــــــــة ، م ، ن ، ص94

كما تستسلم الشخصيـــة لعالم الفضاء ، و سيطرة الخيال الذي يرسم لها التصوير المناسب و هـذا ما تعمل على تحقيقه ، حتى و إن كان تحقيقه لا يتعدى مجال الحلم .

- ... هناك الفتـــاة تبحث دائما عن أحـــــداث طريقة ، لإبراز ما قد يخفى فيها من جمال ، وهنـا تبحث دائما عن أقـــــــدم طريقة لإخفاء الجمال والقبـــــح معا هنـــــاك تخرج كل يوم ، و في اليـــوم عـدة مرات وهنا تخـــــرج طوال حياتـــها ثلاث مـــرات ، في الجزائر أفكـــر في كل شيء ، ما عـــــدا نفســـي ، وهنـا لا أفكر إلا في نفسي....(1)

نستخلص من هذا المقطع الســـــردي ، بأن الشخصية حبيسة فضاءين متناقضين الهنا ، و الهـناك بـحيث فضاء المدينة ، فضاء مطلق لا حدود له ، تتجانس معه الشخصيـــة وتتـــلاءم ، لما لـه من وسائل في تنظم الحياة ، وتـحـقيق للرغبات ، وفضاء كله ضيق وألم ، و نفور تعكسه المظاهـر القروية.

فالشخصية تعيش الاسترجاع ، والاستبـاق في آن واحد ، لأنها وصلت إلى نقـطة اللارجـــوع في موقـفـها الرافـض للفضـاء المغلق ، المتمثل في العالم المظلم ، والبحث عن فضـاء بـديل يضـمن لها إنسانيتها وكيانها الآدمي ، وهي نظرة ثاقـبة يحملها المؤلف برؤى عـميقة تهدف إلى لفت الانتباه بعالم الريف وموقع المرأة بين المتناقضات ، التي تفـرزها العلاقات الاجتماعية في ضوء التصورات الجـديدة للقوى السياسية الداعية إلى تحـــرير المرأة .

وهذا ما يفسر عزم ' نفـيسة 'على التفكير في مشروع الهروب ، للدلالة على القـطيعة التامـــة بين الشخصيـــة والمكـان ، وهـو صـراع بـين التقاليـــــد البائـــــدة ، والنظـــرة إلـى المستقبـــل المريـــح الذي لا يتأتى إلا من خلال عالم المدينـــة.

(1) - عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، م ، س ، ص 216

الفضاء النــصي:

فضاء مكاني لا يتشكل إلا عبر المساحة ، مساحة الكتاب وأبعاده ، غير محدود، لا علاقة له بالمكان الواقعي الذي تتحرك فيه الشخصيات ، بل مكان تتحرك فيه عين القارئ ، فهو فضاء الكتابة الروائيـــة ، يهتـــم بدراســـة كل ما هو خارج المتـن النصـــــي الأساسي ، من خطـــوط نافـــرة أو مائلـــة ، هوامش ،عناوين رئيسية وفرعية ، وإهداء ومقدمات وأغلفة.

لم يكن الاهتمام بالمصطلح كثيرا في الدراسات النقدية ، و السيميائيـــة ، عـــدا الإشارة المتواضعة في جانبه الطباعي ، كموضوع سيميوطيقي ، و تناول هذا الرأي الباحث بشير محمودي في حديثه عن قلة الاهتمام به << ... الأمر الذي نلاحظه هو عدم تعرض الباحثين أوالنقاد بعامة والنقاد الجزائريين بخاصة ، إلى دراسة الفضاء النصي في الخطاب السردي ، من خلال دراسة القضايا المتعلقة به(نظام الكتابـــــــــــة ، التشكيل الطوبوغرافـــــــــــي >> (1)

و على الرغم من الاعـــتقاد السائـــد ، بأن الفضاء النصـــي يكون ثانويا ، إلا أنـــه ضـروري في النصوص السردية ، يساهم بدرجة أكبر في توليد المعانـــي و الدلالات.

تصميم الغلاف :

يعد الخطاب الغلافي من أهم عناصر النص الموازي ، التي تساعد على فهم الأجناس الأدبيـــة بعامـــة ، و الرواية بخاصة عـــلى مستـــوى الدلالتيـــن البنـــاء ، و المقصدية .

فالغلاف عتبة ضرورية ، للولوج إلى أعماق النص ، قصـــد استـنكـاه مضمونـــه ، و أبعاده الفنية و الاديولوجيـــة ، وهو أول ما يواجـه القـــارئ لإحاطته بالنص الروائي ، فيغلفـــه و يحميـــــه

---

(1) – بشير محمودي ،نظرية الرواية في النقد الجزائري الحديث ، م ، س ، ص293

و يوضح بؤرته الدلالية ، من خلال عنوان خارجي مركزي ، أو عبر عنـــاوين فرعية تترجم أطروحة الروايـــة و تيمتهـــــا .

يمثل الغلاف فضاء نصيا دلاليا ، لا يمكن الاستغنـــاء عـــنه ، كونـــه يحمل أيقـونات بصرية و علامات تصويرية ، تعبر عن تشكيل تجريـدي ، يساهم في تحديـــد معنى الرواية ، و توضيح هـدفها العام ، مثلما نجده ماثلا في الرواية التقليدية ، التي يتضمن غـلافها رسومات أو مقدمات هـامشية تساعـد وتوجه القـارئ إلى تبني فـكرة معـينة عـن الروايـة .

إن الغلاف في روايـــة (ريـح الجـنوب) يقـدم صـورة امـــرأة حائـرة ، قد تنطبـــق على ' نفيسة ' ، و وضعية اليدين على الوجه ، حالة حسية توحي بالحيرة والحزن ، اللذين يخيمان على الشخصية ، ويجعلـها حبيسة التفكير الدائـــم .

و إضافـة إلى الصورة ، نجد ملخصا معنونا بكـلمتـــي **الأرض/المرأة** منـه يتعـرف القـــارئ علـى مفـاتيح فـهم الرواية العام ، يذكر فيه الطالبة الثائرة ، والإقـطاعـي ابن القاضي ، ومالك شيخ البلديـة ، لما يحدثه الثلاثة من إيحاءات مختلفـة ، و متناقضة داخل السرد الروائـي ، تكون بمثابة إشارات توجـيهية ، وعـلامات توثيـقـيـــة ، و هذا ما يتطلب في نظرنا خبرة فنية متطورة لدى المتلقي لإدراك بعض هذه الـدلالات ، و كذا للربط بينه و بين النص ، ليكتشف علاقات تماثل بين العنوان أو النص عند قراءته و بين التشكيل التجريـــدي .

العنـوان :

يشكـل العـنوان للـدارس العتبة الأولى ، التي تعينه على استكناه ، وتغيير عـالم النـص فـهو المنـارة التي تضيء فضاء النص ، وتقـود القـارئ إلى فك رموزه ، وكشف ما فيه من غـموض

قد شغل العنوان أهمية بالغة لدى القدامى ، أبرزهم **أبي القاسم الكلامي** في كتابه ' أحكام صنعة الكلام ' والمحدثين بخاصة ، في أبحاث الشكلانيين ، لما له من وظائف بنيوية تتعلق بهيكل النص الخارجي ، وأخرى دلالية ؛ هي علاقته بالمادة الحكائية أو الشعرية .

أما لدى السيميائيين يعد العنوان علامة ، أو أيقونة ، تحمل معاني ودلالات تفيد المتلقي في تأويله مضمون النص .

و **.يحتل** العنوان في الفضاء النصي << موقعا استراتيجيا يشرف منه على النص ، يحرسه ويضمن ، وحدته وعدم تفككه وذوبانه في نصوص أخرى >> (1)

العنوان فاتحة القراءة ، الذي يتجلى به إيقاع الأحداث ، و نسقها الدرامي ، وتوترها السردي إضافة إلى مدى أهميته في استخلاص البنية الدلالية للنص ، وتحديد تيمات الخطاب القصصي و العنوان كما يقدمه (**CLAUDE Duchet**) << عنصر من النص الكلي الذي يستبقه ويتذكره في آن ، بما أنه حاضر في البدء، وخلال السرد الذي يدشنه ، يعمل كأداة وصل وتعديل للقراءة >> (2)

هو لازمة كل متن روائي ؛ ضروري للبناء النصي ، فقد يكون صورة كلية تحدد هوية الإبداع وتيمته العامة ، وتجمع شذراته في بنية مقولاتية ، تعتمد الاستعارة ، أو الترميز وهذه الصورة العنوانية ، تكون فضائية يتقاطع فيها المرجع ، مع المجاز، ' **فريح الجنوب** ' لدى ابن هدوقة تأخذ دلالات قبلية ، كالقبلي ، و التجدد و التغيير ، و الوثوب ، ولكن تأثيرها على القراء من جهة ، و نفسيات الشخصيات من جهة ثانية ، جعلها تتناول جزء كبيرا في المتن الروائي .

---

(1) – طاهر روابنية ، شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي القديم ، م ، س ، ص141

(2) – كلود دوشيه ، عناصر علم العنونة الروائي ، فرنسا ، العدد 12 ، سنة 1973 ، ص 52

العنوان تركيب جامع يتصف بالبؤرة التي تجلي مجمل تمفصلات الخطاب الروائي ، أو قل شفرة علاماتية و أيقونة دالة لمجموعه ، و يعده المؤلف و المتلقي على حد سواء جماع النص ، و ملخصه ، لقد تكرر العنوان بصوغه سبع مرات في رواية ابن هدوقة ، استخلصت من المتن على التوالي :

* لا شك أن ريح الجنوب مقبلة...

كانت ريح الجنوب فعلا قد أخذت... (1)

....تمهد لريح الجنوب...(2)

إذا تحركت ريح الجنوب .....(3)

هذه حرارة القبلي ريح الجنوب...(4)

إن مدلول العنوان يقتضي منه دلالة الريح بقصدها الطبيعي القبلي ، كما يتواضعون عليه أهالي الريف ، و كذا القرية ، إلا أن ترجيح الكلمة ، لا يعني بالضرورة المدلول نفسه ، بل يتلون من دلالة إلى أخرى ، فقد يدل على التغيير، أو التجديد ، أو التنبؤ.

تنظيم الكتابة :

إن الكتابة في حد ذاتها ؛علامة قائمة ، حسب ما يراه غريماس **(Greimas)** بأن ‹‹ المستوى التنظيمي يمكن أن تخطر في شكله الخطي ؛ أي التنظيم العام للنص المطبوع ، وتهيئة الفضاءات البيضاء التي تعلم بالوقفات ، وعلامات الترقيم ، واستعمال المتغيرات الطباعية ›› (5).

إن البياض الفاصل بين الفصول ، أمر عام ، لا يستأثر به حيز النص الروائي وحده بل يتجاوزه إلى المتلقي .

(1) – عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، م ، س ، ص74

(2) – الرواية ، م ، ن ، ص 75

(3) – الرواية ، م ، ن ، ص ، ن

(4) – الرواية ، م ، ن ، ص 187

(5)– J.Greimas , pour une théorie du discours poétiques , P II , p : 77

إن الـوعي بأهميـة الفضـاء النصـي لـدى كل مـن المبـدع ، والمتلقـي ، يشـكل بقـدر وافـر، تحقيـق تنظـيم مكاني على صفحة الورقة ، وما يبرزه من جماليات تعطي القـارئ تـأملا يـؤول إلـى التفاعـــل ، بين مخيلـة القـــارئ ، والنص ، ليرسم نصا متخيلا جديـــدا .

لقد تعرض ابن هدوقة فـي روايتـه ' ريح الجنوب ' لموضـوع الأرض ، و المرأة استوحاه من عدة مرجعـيات ، أفرزتهـا المرحلـة التـي سيطرت عليهـا المرجعيـة السياسيـــة ، بحيث يريـد المؤلـف أن يلفت الانتباه إلى التكفل بعالم الريف ، و يظهر ذلك من خلال تعـبير شخصياته الرافضة لمظاهـــر القرية أولها ' نفـيسة ' ، وفـي الروايـة أيضـا ، تكسيـــر لطابـــوهات محظـــورة فجـــرها المؤلـف ، لتوجيـه نظـرة السلطات إلى الاهتمام بكافة المناطق ليلتحق الريف بالمدينة ، فـتـتعالق فيه العادات والتقاليد ، كـي تكون أداة ميســـــرة للحياة ، لا عائقـــــــــا لها .

و يتوزع البناء الفني في الرواية ، على سبعة فصول بلا ترقـيم ، ولا عـنونة ، يكثـر فيها الروائي من المزدوجتين ، ونقاط الحذف ، مع إهمال لكثير من علامات الترقيـــــــــــــــم .

- ‹‹... نسيـــت أن أقـــــول لك ... مازلـــــــــــت .... ›› (1)
- ‹‹ التعليـــــــــــــــم أمـــــــــــــر ثـــــــانوي ... ›› (2)
- ‹‹ إنهـــــــــــــــا تـــــرفض الـــــــــــــزواج ›› (3)
- ‹‹ كأنـــــــــــه ليس أجـنـبيـــا عنها أو ... ليس رجـــلا ›› (4)

الكتابة الافقية :

هي استغلال الصفحة بشكل عادي ، يعتمدها المـؤلف ابن هـــدوقة في روايتـــه ، كتابة أفقية تنظم

(1) – ابن هدوقة ، ريح الجنوب ، م ، س ، ص22

(2) – الروايـــــــــــــــــة ، م ، ن ، ص76

(3) – الروايـــــــــــــــــة ، م ، ن ، ص63

(4) – الروايـــــــــــــــــة ، م ، ن ، ص118

من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، لتعطي الانطباع المتنـوع للمتلقي المفعـــم بتزاحـــم الأحداث و الأفكار في أذهـــان الشخصيات المحورية في النص الســـردي ، وقد استخدم ابن هدوقة في روايتـــه ' ريح الجنوب ' تلك الطريقة المـزدحمة في وضع اسطر الكتابة على الصفحات بنمط أفقي، تبدو فيها الصفحة مليئـة ومشحونة من الأعلى إلى الأسفل.

الفضاء الديني :

يتمثل في فضـاء المقـبرة أين تنـال مكانـة ، واحتراما من كافـــة السكان.و لعل ما أشارت اليه ' نفـيسة ' حين مناجاة نفسها يدل على الترابط الديني و الخلقي بين السكان و موتاهم .

* ... الطريـــق الموصلة إلى المقبرة ، هي الوحيـــدة التي لا تكثـــر فيها المنعرجات ، و الصعود الهـبوط و المكان الذي تقع فيه المقـبرة أحســـن موقـــــع ، اعتـــــــدالا و انشراحا .... (1)

يعكس المقطع السردي ، مدى الوصال بين الأحـياء ، و الأمـــوات عبرمختلف العصور ، تعبر فيه كل فئـة عن طقوس ، و معتقدات ، تـوحي بمدى إحساس الإنسان بمدلول المقبرة ، إذ هـي التـي تـذكره بالمصير ، و تحفزه لنيل خير الأعمال للفوز بالآخرة ، و الدعوة إلى الاهتمام بها ، و المحافظة عليها لأنها مـزيـج تاريخي ، و اجتماعي ، لسكان القرية جميعا ، من خلالها يتذكرون ، و على مـوتـاهم يترحمون .

* لمـــاذا لا يقـــيمون سياجا حول المقـــــبرة ، و هكذا تصان من كل شـــيء ... و جلست العجـوز أمام قـــبر مغطـــى بالأواني الفخارية ، و قالت مخاطبة زوجها الذي مضى على وفاتـــه أكثر ... (2)

(1) – ابن هدوقة ، ريح الجنوب ، م ، س ، ص36

(2) – الروايـــــة ، م ، ن ، ص38

فالمقبرة مكان مقـــدس قـــداسة من فيـــه ، و ان تأكيـــد المحافظة على المقبرة ، هو تأكيد لحقوق الميت على الحي ، فضاءه يحقق لنفيسة بصيصا من الأمل المريح ، لأنها تجد فيه مخرجا وحيدا للتخلص من سجن البيت ، كما يكون لها وسيلة لرؤية العالم الخارجي.

وقد يكون الفضاء مغلقا حزينا لأمها (خيرة) ، و (العجوز رحمة) لان يثير الذاكرة لاستحضار الماضي و تذكر الأعـــزاء و إثارة الجـــراح ، كما تعد المقبرة ؛ فضاء للمواجهة ، يتذكر من خلاله السكان ماضي القريـــة ، و ما شهده الأهالي إبان الاستعمار من قتل و تشـريد ، فهو يستدعي الحس الوطنـي و الروحي لـدى الشخـصيات . و من هنا تظهر' نفـيسة ' و هي تسعى للخروج من المكان المغلق (القرية) إلى المكان المفتوح (المدينة) ، أو من الواقـــع إلى المتخيل .

إن الروائـــــي ابن هدوقـــة ، من خلال رصده لحركة المجتمع الجزائري ، و رسـم جزئيات و تفاصيل القـرى و المداشر بجانـبيها الجغرافي و الاجتماعي ، يكـون قد رصد بذلك صورة المرأة الريفيـــة من خلال تفاعلها مع فضاءات مغلقة ، و أخرى مفتوحة لإثبات إنسانيتها ، و دعوة الآخرين إلى ضرورة تحـــرر المرأة ، بأبعـــــاد جمالية ضمن النـص الســـــردي.

الفصل الثالث

تشكيل الفضاء في الرواية الجبيرية

يشكل السرد مظهـرا تعـبيريا ، ينشـئ الكـلمة ، ويفـوض الجملـة ، قصـد تحقـيق تواصـل تـبليغي على المسـتويين الشفهي ، و المكتوب ، و أن جنس الرواية تصور المحاولات النقـدية الحـديثة، نظرا لما لـه مـن قـــدرة فـي تحديد الواقـع الإنسـاني، وتفـتحه علـى عوالـــم الأجنـــاس الأدبيـة الأخـرى وكافـــة أشكال الكتابـــــــــــــة.

وعلى اعتبار أن الروايـــة حـكاية يمكن أن تـروى ، و متكونـة مـن ‹‹ مجموعـة الأحداث التـي تقع أو التـي يقـوم بهـا أشـخاص تـربطهم علاقـات ، وتحفـزهم حـوافز، تـدفعهم لفعـل مـا يفعلـون ›› (1) والرواية إبداعيا ينبغي أن تحـاكي الواقع ، وتبتعد عن جرد النقل الفوتـوغرا فـي لمظـاهره ، بكل تجلياتـه بسلبياتــه ، و ايجـابياتــه ، بحيث أن الإبـــــداع الفني ؛ هو الذي يسيطـــر علـى المجـال التصـويري و التعبيري ، في نقل معالم الواقع بمآسيه، وأفراحه ، و بمنجزاته وهـفـواته.

تعد النصوص الروائية الجزائرية إنتاجا معتبـرا، من الإنتـاج الروائـي بعامـة ، والعربـي بخاصـة بداية من السبعينيات ، فكانت الثـورة التحريريـة هـي المرجعيـة الأيديولوجيـة ، والجماليـة ، التـي نهـل منهـا جل الروائـيـيـن الجـــزائريـيـن، فـي سردهـــم لمجموعـــة من الوقائـــع ، والأحداث الهامـــة قبل وأثناء وبعد الثورة .

لقد تمثلت تلك الأعمـال السـردية ، في تمجيد النضـال السياسي ، وتعــرية للممارسـات الاستعـمارية ، و هوما يؤكده تنـوع الموضـوعات ، التـي عولجت فـي الروايـة الجزائريـة ، فـي تلك الفتـرة ، وطبـيـعة المنحى الذي سلكه الكتاب في المرحلة المتميـزة في تاريخ المجتمع الجزائري.

---

(1) - يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، الفاهرة ، دار المعارف للنشر ، ط1، 1998، ص28.

وعليه ؛ فلا ينبغي لنا عزل الرواية عن واقعها السوسيـــو- ثقافـــي ، وأبعادها الاجتماعية كونها عملا نثريا تخيليا ، وصورة لمجموعة من الظواهر، عبر المكان والزمان، فكل عنصر فني يصير متباين الوجود ، إلى أن يبقى حيا في سياق القيم النهائية، للشكل الذي يريده الكاتب .

تكتسب الرواية الجزائرية خصوصية في الواقعيـــن؛ الاجتماعي ، والثقافي بعامة ، كونها تمتلك جذورها من تلك التقنيات الفنية النثرية ، ذات الأصل العربي ، والتأثير الغربي ، فكانت صورة حية عن الحياة الواقعية ، وتصوير لحياة ، وعـــادات النـــاس .

الفضاء الجغرافي :

الأمكنة الحقيقية التي تبدي واقعية الشخصية، من خلال اتصالها ، وتعاملها مع المكان ، بمفهومه الجغرافي و الواقعي المحدد ، من حيث وجود هذا المكان في حياة الشخصية ، ليمثل و يحتضن وقائعها اليوميـــة ، التي تبدو عادية ، و مألوفـــة في حياة أي إنســـــان .

إن البيوت ، و المنازل ، تشكل أنموذجا ملائما لدارسة قيم الألفة ، و مظاهـر الحياة الداخـلية كـما تعـيشها الشخصيات ؛ لأن بيت الإنســـان امتداد لـه ، بحـيث ‹‹ انك إذا وصفـت البيـت فقد وصفت الإنسان، فالبيـــــوت تعبـــر عـن أصحابها.›› (1)

ففضاء البيت من ذاكرة الإنسان ، و هـــوية لساكنيـــــه، يحمل نمـط عيشهـم ، و مستـــوى تفكيرهم ، و مرتبـتهم في السلـم الاجتماعي ، كما أن ‹‹ فكـــــرة البيت لا يمكنها أن تحقق رهنيتها إلا من خـلال ربطها بالإنسان ، الذي يشغـــــل المكـــان ، و الوعي الذي يدركـــــه .›› (2)

(1) – مجموعة من المؤلفين ، الفضاء الروائي ، تر:عبد الرحمن حزل ، فريقيا الشرق ، المغرب ،2002، ص32

(2) – حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، م ، س ، ص 46

فالبيت وعـــي إنساني ، يولد الإرادة لاقتحام المكان، و عطائـــه بعده الدلالي ، و العلاقة بينهما لا تبرز إلا من زاوية الوعي ، والصلة ، فلا كينونة بدون البيت ، كما أن إثبات الوجود والإقـــرار به، حاجة متأصلة في نفـــس الإنسـان ، منذ وجـــوده ،على اختلاف العصـــور و تبـــايـــن المستويات .

1- فضاء البيت :

أ - البيت غـير موصوف ،لا يخضع إلى تفاصيل ، ولا لوصف دقـائقه ، بل مذكـــورا عرضا على سبيل حيـز يضم الشخصيـــة ، و إن عمد الروائي إلى ذكر أوصاف عجـيبـــة تضاف إلى البيت ، و أركانه ، من خلال الأحداث الغـــريبـــة ، التي تقـــوم بهـــا شخصيـة البطـــل أو شخصيات خـــرافيـــة متخيلة ، أو ما يمكن تسميتها شخصيات حـلميـــة .

أن المادة الحكائية لرواية ' البحث عن الوجه الآخـــــر' هي مادة حـــــلمية في أغلبها و يذكـــر البيت في متن الرواية ، بصفتـه حيزا يعبر عن واقعيته الحقيقية ، لكن اختراق الشخصية لـه (الرجل الغريـب) ، يجعل منـه فضـــاء عجـــيبا غـريبا ، يحـاول أن يلـف عالمـه بنسج فنـي ، خيوطـه مجالات المادة الحلمية ، التي تخضع لتأملات الشخصيـــة .

- فـيبـقى يسيـــــر القـهـقـــرى ، كأنـــــه متـأدب،

أي أن يديـــــر لي ظهـــره ،و اعـتقـــدت أنه سيصطدم

بالبـــاب ، و هو لا يـــــراه ، لكـــن الشخـــــــــص

الغـريـــــــــب لـــم يعـبأ بهذا الباب فاخـترقـــــــه

و نـفـــــذ من خلالـــــه إلى الخارج ... ... و تلاشـــــى .(1)

(1) – محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1980 ، ص 8

ب - فضاء مشـــار إليـــه على سبيل إخفـــاء طابـــع الحقيقـــة .

- و أيـــن يكـــــــــــــــــون ذلـــك ؟

هـــــــــــــــــــــــــــــــنا .

أن يكـــــــون ذلـــــــك في بيتـــــــك ؟

إذن ، لا مانع عنـدك ... هناك سـنتسـلى قـلـيـــلا. (1)

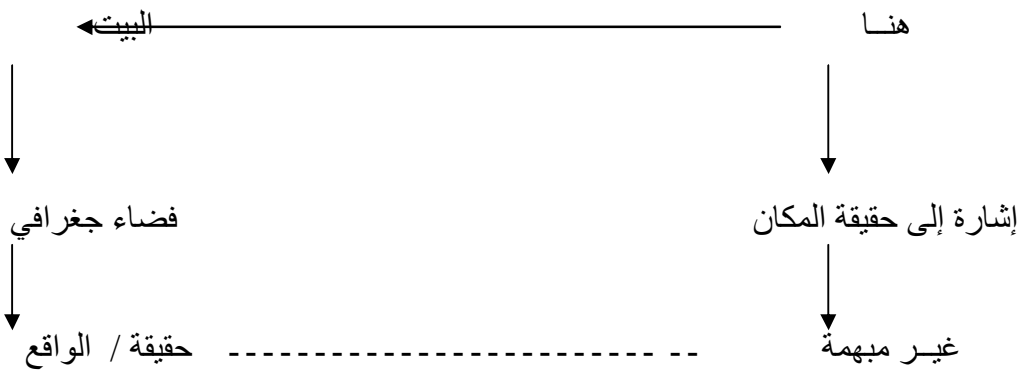

ج – فضاء الـبـيـت موصـــــــوف ، يخضـــــــع لوصف الســـــــــارد .

* انـــه يسهـل علي إقـــــــــدام الفـتاة للبيت ...

لكـــن مـــــاذا سأقـــــــــــــــدم لها ؟

إن الـبـــيـــت خـــــــالي مـــن الأطعمـــة

و الأوانـــي ، و خـــال من النور .... لا شك إنها

ستـتـفاجـأ عـــنـــدما تكـــتشف عالمـــــــي هذا . (2)

يعمد السارد إلى وصف فضاء البيت ، بوصفه مكانا حقيقيا ، بالنسبة للشخصية ، فيلحق بالبيت أوصافا ، و إن كانت قليلة لا يعبأ بها السارد ، لكون شخصيته لا تعيره اهتماما ، فهي تهتـم بتأملاتها ، و تصوراتها ، التي تتجاوز المكان في غـالـب الأحيـــــان

(1) – محمد عرعار ، رواية البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص 12

(2) – الروايـــــــــــــــــــــة ، م ، ن ، ص13

وإن كانت تلك الأوصاف ، تجعل الشخصـــية ترتبط بالواقع مهما تجاوزتـه ،و لـو كـان ذلك عـلى سبيل الأفكـار، إن لم نقل تجاهله ، فكل ما تذهب إليه الشخصية من حلم و خيال قد يقع في فضاء السماء ،ثم تنزل مرة أخرى إلى عالم الأرض، الذي يفرض الواقع الذي تعيشه حتى و لو كانت ترفض التعايش معه .

د – فضـاء الـبيت عـندما يحـتـضن أفكـارا و معـتقـدات ، تنتمـي إلـى الذاكـرة الجماعيـة أو إلـى المـــوروث الشخصي ، أو الأسطوري أو الديني .

* صبـرت قليلا ، و وصل جـــلدي إلى حـــده أرجعــت كل
الحـوادث إلى البيت ... أنبت نفسي . ما كـــان عــلي أن أقبـــل
هذا السكن... أعـرف أن الناس تقــدم ضحايا و قرابين عند بنائها
أي سكـن تبركا و إبعادا لكل مكروه ... فهـــل فعلت أنا هـــذا . (1)

هـ - الفضاء الحقيقي للبيت لدى الشخصية يخضع إلى الحديث العارض ، أو الوصف العام دون وقوف على تفاصيله و دقائقه من حيث ذكر معطياته ، أو يعرف تقديما عاما لأن السارد ' شخصية البطل ' يركز على الشخصية و ما تفعله ، و علاقتها مع الشخصيات الأخرى سواء أكانت حقيقية أو متخيلة حلمية.

*... امتلأ رأسي هـواجس ، و سكنت أعماقي اضطرابات شديدة فتحت
عــيني مـرتعدا ، أتــوقـع امتلاء الغــرفة بالأشباح... أجلت بصري
في أنــحـاء الغـرفة ، فلمحـــــت خـيال رجل ... أنسحبت من المكان
و سحقت اللفافة بقدمي و قد نسيت أني ... أتمشى حـــــــــــــافيا . (2)

---

(1) – محمد عرعار ، رواية البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص 14
(2) – الروايـــــــــة ، م ، ن ، ص 16

و هدا ما يتضح من خلال الخطاطة ، أين يتبيـن بـأن الوصـف الـذي يتـــعلـق بالبيت لا يتعرض إلى التفصيل ، في الجزئيات المكونـة لـه ، إنما يكون وصفا خارجيا ،لا يولي أي اهتمام للموصوف ، و تتبع تفاصيله ، بقدر ما هو إشارة عابــرة للمكان ، كـونه يحتضن الأحداث ، و الوقائع لكـن الشخصيات هي التي تصعد من قـيمته ، في العمل الروائي ، لتجعلـه عـنصرا مــن العناصر السردية الأخــرى ، يـــؤدي وظيفته الفنية ، و الدلالية .

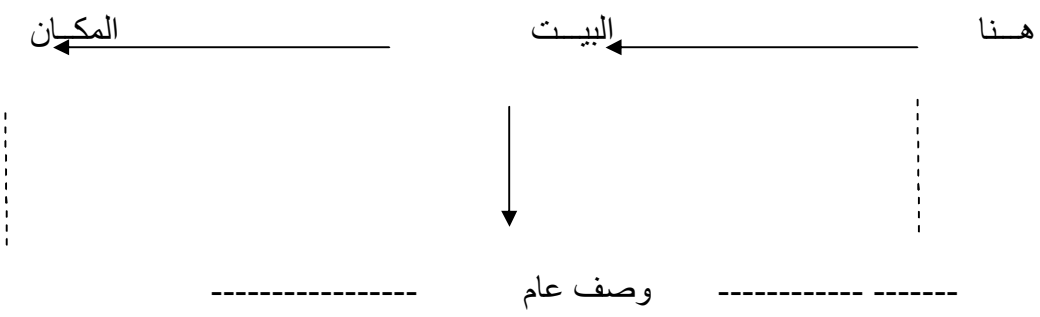

و- البيت فضاء يحمل ذاكرة من عالم الطفولـة ، علـى سبيل ذكر السيرة الذاتيـــــة للشخصيـــــــة بين الطفـــــولة ، والصبـــــــــــــــــا .

* فأعود إلى البيت و ألهو مع إخوتي ، تحت السقيفة في حرية وانشـــراح
عـندما تقوم أمي بالأشغـال المنـــــزلية ، أتابعـها ، و أمتـــع نفسي بها ...(1)

و يتجـــلى فضاء البيت بمظهـــــــرين ، بـيت الأســـــرة ، و بـيت الشخصيـــــة .

*... و أصبحت أعـــتـــقـــد ، رغم بقائي بين أهلي و في بيتنا الواطئ
إن الكرة الأرضية و السماء ... بل و الكون في متناول يدي لكني
أتسامى عنها من فرط تعاظم شخصيتي ، و ارتفاعها إلى أبعاد
و أفـــــــاق مجهـــــــــــولة ما وراء الكـــــون . (2)

(1) – محمد عرعار ، رواية البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص 20
(2) – الروايـــــــة ،ع ، ن ، ص 21

إن فضـاء البيت يشكل للسارد فضاءين مختلفـين ، فضـاء يطمئن إليـه و هو بيت الأهل يتذكره حين سـرده للسيرة الذاتية ، و استحضار أيـام الطفولـة بين أفراد الأسرة ، فيكتسب بذلك أمنـا و استقرارا ، ينسيه مآسـي الواقع الذي يعيشـه ، و فضاء غير مرغوب فيه لكنه مفروض عليه بما يجلبه إليه من مخاوف و انزعاج ، و تصورات مرعبة من اختلاق الأحلام التي لا تفارقه كلما أراد أن يتمتع بواقـعه الحقيقي .

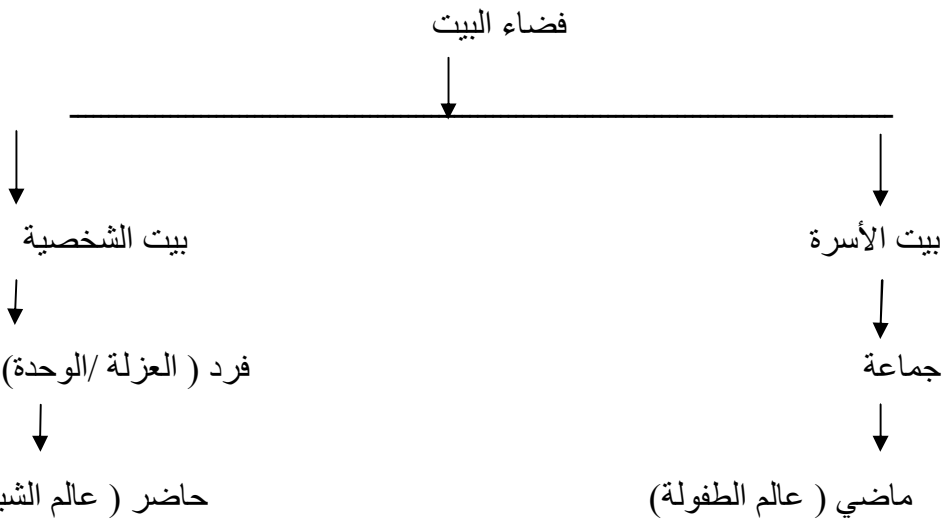

ي – فضاء البيت يدل على الطمأنينة بوجود الفتاة العروض، و قد يدل على القلق و الخوف بوجود الشبح / المارد /الرجل الغريب.

*... البيت معمور بعروس فاتنة ، عقدت معها الزواج في ظروف مناسبة

تستقبلني عـند الباب ، باسمة ، كحـسناء ، تخلق من الحلـم و تضمني

إلى صدرها ، كـأم ترضع طفـلها ... البيت منفتح القلب يرحب بأهلي

و هـم مسـرورن ، بعـد أن جئت بهـم ليعـيشـوا معـي ...(1)

(1) – محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص 54

لبيت يوفـر للسارد الاطـمئنان حين يتذكر صاحبة المكالمة الهاتفـية فتزداد رغبته في النساء

*... رغـبت في التمعـن في وجهها ، و التمتع بمحـاسنها ، فإذا بهـا واقـفة قـريبة مني ، بعـيدة عـني ، لا أعـرف كـيف آخـذها سألتها محـاولا النفـاذ إلى داخـلها:

لعلك تشفقين على متيم فـتزودينه بنظرة طيبة ... نظـــــــــرة واحدة تكـفي . (1)

و بالمقـابل فهو يعيش القـلق و الرعـب ، وسيطرة الخـوف حين يستسلم للأحـلام المعتادة

* ملكني يقين أن شخـصا يقاسمني الحجرة ، قـررت مواجهـة الأمر بخـوف مصبوغ بشجاعة ،انتظرت ... لأرد بحـزم . تأهبت للدفاع عـن نفـسي بكل بسالة . (2)

هذا الخوف الذي يتولد لديه ، كلما شعـر بقـدوم المارد ، و دخـوله الغـــرفـة ليتقاسمها و إياه في الأحلام ، و يشتد قلقه و يزداد كلما استسلم للنوم ، و يمتد ليعيشه في عـالم اليقظة .

البيت

الطمأنينة ← الفتاة العروض

القلق و الخوف ← المارد / الشبح /الرجل الغريب

و- البيت التذكاري الجماعي و الإشارة إلى عالم الطفولة .

* في بيت عـاري الجدران ، منحدر السقـف ، ولدت ، في ظروف تقول عنها أمي أنها كانت جد صعـبة . و هـذا البيت ما يزال قائما إلى اليوم ، على شكله الأول ... يحظى مني من حين لآخـر بزيارات خفيفة ، لكنها مشحونة بمشاعر مضطربة، يتغلب عليها التألم بشكل واضح ... و مصدر هذا التألم خفي عني..(3)

---

(1) – محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص 37
(2) – الروايـــــــة ، م ، ن ، ص 32
(3) – الروايـــــــة ، م ، ن ، ص 67

2 - **فضـــاء الغرفة** :

تحتل الغرفة الشخصية المرتبة الأولى ، من حيث العنــاية ، و لعـله اهتمام مقصود ؛ إذ كلما حصر الروائي فضاءاته ، كان أقدر في السيطرة علـى تلك الفضــاءات ، و التقـــاط أجزائها ، و رصد تجليــاتها في الذاكرة ، مـع الاستفادة من مستوياتها في إستراتجية الكتابـــة.

ا - الغرفـة غير موصوفـــــة ، مـذكورة عرضـا ، مثلمـا نجـده فـي الروايـة الواقعيـة ، كوصـف غرفـة نفيســـــــة في روايـــــــة ' ريـــح الجنوب ' لابن هـدوقـــــــــــــــــة .

* الحجرة ضيقة طولها ثلاثة أمتار و عرضها كذلك ، بها كوة خارجية مطلة
عـــلى جـــزء من البستان ، ارتفاعها سبعون سنتيما ، و عرضها خمسون
و في هذه المساحة السرير القديم الذي تنام عليه نفيسة ، و خزانة أشد قدما ..(1)

ب – غرفة تحتضن الأحـــداث العجـيـبة ، و الشخصيات الغـــــريبة ،على الرغم من أنها فضاء حقيقـي ، لكنها تبدو أنها تشكـل فضاء سحريـــــــــا.

* ... و في اللحـظة التي جـمعت فـيها أنفـاسي ، و تأهبت للوقوف لمحت
ماردا يسرع نحوي ، مسلح برمح طويل... رأيته يوجهه نحو صدري ...(2)

ج – الوصف السحري للغرفة ، أين يتحول فضاء الغرفة من مكان حقيقـــــي إلى مكان سحـــري و ما يحدثه من أحـــــــــداث غريبـــــــــــة .

* دوى الرعـد و سطع البـــــرق ، في هذه الأثناء ، فزلزلت الأرض
من تحتي ... و برق ضياء باهر أمامي ... أضيئت الغرفة ، فلاحت
شاحبـــــة ، عـــارية الجـــدران ، لا أحد فيـــــــــــــــــها . (3)

---

(1) – عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، م ، س ، ص8

(2) - محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص 8

(3) – الروايـــــــــــــــــــــــــة ، م ، ن ، ص 16

الفضاء السحري :

إذا كان الروائي قد أفـاد من المرجعية الفلسفيــة ، و مرجعية علم النفس ، في عرض الحدث الغامض في روايته ' البحث عن الوجه الأخر ' ، فقد اعتمد أيضا على الأساطير، و الخرافات في عرض الأحداث التي تتصف بالعنـف و الطابع سحــري ، في تمثيلها الجانب السلبـــي ، الذي تعيشـــه الشخصيــات في صراعها مع الشخصيات المتخـيلــة ، ذات الطابــع الخرافـــي (العفاريت ، الأشباح ، المارد) .

كما تمثل أيضا ، مصدر الأذى و الشـــر في الرواية ، لتدل على الصراع الحاد بين شخصيـة البطل و الشخصيات ذات الطابع الأسطوري ، أو الخرافي (المـــــارد / الأشباح).

و **لعل** ذكر المؤلف لهذه الشخصيات ، دلالة على قسـوة الواقـــع الذي يقلقـــه ، و هذا ما يتـضح من صراع شخصية البطل ، و الواقع الذي يبين المعانـــاة الروحية لــه ، لعدم رغبـته في احتـواء الآخرين و اتصافـــه بانعدام التجانس الفكـــري ، و الروحـــي .

أن الشخصية تعاني الانطواء ، بسبب الانغلاق ، و عدم التعايش مع غيـرها ، فهي تعيش عالما خاصـا يرتبط بالماضي عن طريــق الحلم دون التطلع إلـى المستقبــل ، على الرغـم من أنها شخصية تتحدث عن الكـينــونة والسمو ، و حملها لمعاناة ذاتية يراد بها أحداث ثورة على الواقع الذي تعايشه .

فهو يرغب في التــأثــيــر على غـيـره ، ليكون التحـول جماعــيا ، للوصول إلى المـبــتــغـى الذي يراه الحـل الأمثـــل ، للطموحـات الفـــردية ، و الجماعيـــة ، إلا أنـه لم يستطـــــع الظفــر لمـا يصبو إليه ، بسب ما ينتابه من تأثيرات مستوحاة من مرجعـيات مختلفة ، و متنوعة أملت عليه أفكارا

عجـز عن فرضها في الواقع المألوف ، فالتجـأ إلى العـالم الآخر ليحقق – علـى الأقل – أفكـارا نظريـة توفر التفـــــاؤل بالمستقبل المنشـــــــــــــــود .

* أبقى لساعات مضعضعا على هذا الحال ، و عندما أستعيد نشاطي
الطبيعي ، أحس كـــأنني كنت في حلم ، و قد رحلت إلى عالم آخر
و خضعـــت إلى تأثيـــر قوة غـــريبة ، جـــذابة و عظـــيمة ... (1)

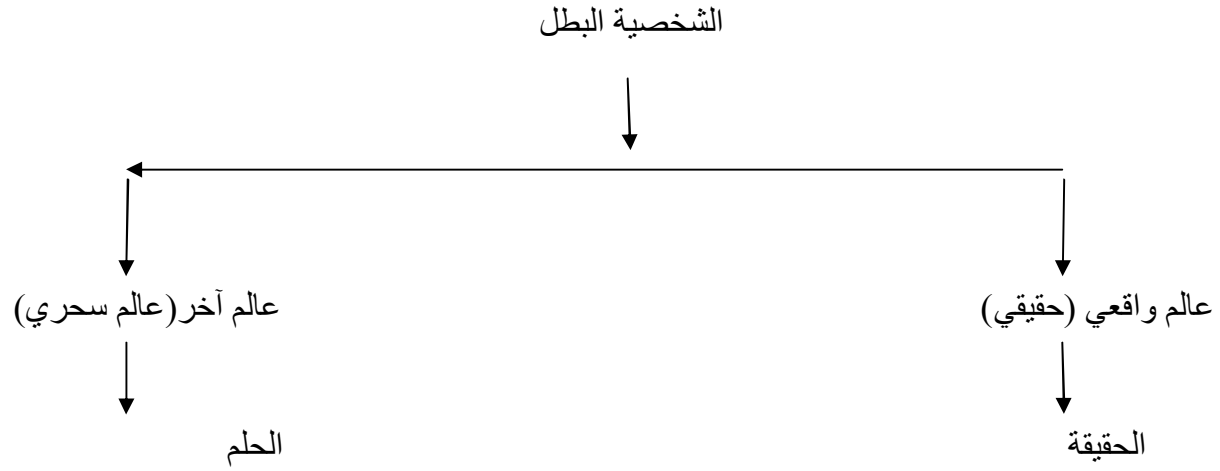

* تحول المكان إلى فضاء شاسع الأطراف ، تسبح فيه كواكب لماعة
و أخرى قاتمة في تناســـــق ، و انسجام ، تقترب و تبتعد عن بعضها ... (2)

يعيش البطل صراعا بين عالمه الواقعي الحقيقي الذي ينـبـذه ، و يسعى دوما لتغييره ، و عالم آخر يحلم به و يلجأ إليه ، كلما ســـــــدت أمامه سبل التحقيـــق ، و التغيـيـــــــر.

- الفضاء السحـــــــــــري موصـــــــــــوف .

* إني.. لا أرى هذه الجنان ..فهل هي كبيرة ؟ جـدا ما مقدارها ؟ غير متناهية. (3)

إن الشخصية البطل ، تفضل الهروب إلى العالم الآخر ، لتخفيف صدمات الواقع المؤلمة ، التي يقف مهزوما أمامها ، بالرغم من اسـتـنـــجاده بالعالم الحلمي حين فشله في المواجهـــــة .

(1) – محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص22
(2) – الروايـــــــة ، م ، ن ، ص29
(3) – الروايـــــــة ، م ، ن ، ص42

الفضاء الحلمي :

إن الحلم صرخة تنديد بالواقع ، و توظيفه ثورة على الرواية التقليديـــة ، فهو مــادة الحلم كونـه فضـاء غــريبا ، مـدهشا قلقا ، يتشكل وفق قوانين ، لا تســري علـى الواقــع المرجــعي ، **و** ينـفـتـح بتشكلاته علـى إمكانـــات عديـــدة للتــأويــل و الممارســتة ، و القراءة المنـفـتحــة المتعـددة المســتويـــات التي لا يتيحهـا الفضاء الواقعي ، و سنعمل لاحقا على تحديد ، و استنطاق المــادة الحلميــة في الروايــة.

يسود الفضـــاء الحلمـي فـي الخطـاب ، عنـدما يكـف المكـان الأليـف عن التواجـد فـي الواقـع ، فيتميز بالتقوقـع الاحتمائي ، والانغلاق المزدوج ، الذي يكون علـى مستوى الفعل ، و الإدراك المتلاشــي فعـندها يكون مغلقـا أمام العالم الخارجي ، مفـتــوحا على العالـــــم الداخلـــــي بماضيـــــه المنـبـثــق من الذاكرة ببساطتها ، أو تعـقـدها .

كما يصبح أداة تشكيليـــة من نســـــج الأحـــلام ‹‹ الفضاء تخـترقه الأحلام ، و الحالات الـنـفـسيـــة لا مقاييس الحواس ، و المدارك ›› (1) بمعني أنه يتحدد خارج سلطة الوعي ، لأنه ينفلت مـــن أيـة رقابـــة و من أي تشكيل محـــــــدد .

الحلم يتجاوز الذاكرة ، و لكنه يخلف إشـارات ، و علامـــــات نستطيـــع بها تحديـــد بعض مرامي الحلم ، فهو في تكوينه ، يستعمل عناصر فضائية تبرز دلالة العمل السردي .

و تتجلـــى البساطـــة فـي سهولـــة استرجاع الـذات لذكرياتهـا ، كونهـــــا أكثـــر إلتصاقـــا وحميميـة ، و معـقدة عنـدما تشحـــن الصـــورة و تحشـــوها بمركب من الذكـريات الفـرديـــة و الجماعـية في فتـــــرات زمنيـــة متباعدة ، مما يتراجـــع معه المكان الواقعي ، و يخـلف وراء

(1) – حسن نجمي ، شعرية الفضاء ، م ، س ، ص 34

الـذات مكتسبات قبلية عاشتها الشخصيات ، و فق ظروف حياتية ، فيصبـــح المجال مفـــتوحا لبروز مكان الحلم ، أو المكان الداخلي المنـــبثق من تعاملها مع العالم الخارجي ، بناء على منطقها الخاص .

إن اعتماد الروائي على الحلم ، لا يعني بأن الرواية تبتعد عن معالجة قضايا الواقع ، ومشكلاته ، إنما ترسم صورة أخرى عنه ، ينتقل بها المؤلف من واقع إلى واقع آخر ، يراه من وجهة نظر ذاتية واقعا سليما مميزا ، يريد به بناء واقع يتصف بالعمق و الحقيقة ، عن طريق ما افترضه من شخصيات غريبة ، يصممها وفق تفكيره و شعوره .

و هذا ما يتضح ، من خلال صراع البطل و تلك الشخصية الغريبة ، أو الخرافية ، التي يفشل في مواجهتها ، من خلال هروبه إلى عالم الحلم ، الذي يحقق فيه ما يريد من رغبات ، يتعذر اكتسابها و الظفر بها في واقعه الحقيقي .

يظهر هذا النوع ، من صنع الشخصية نفسها ، في تفضيلها الواقع المتخيل الحلمي ، الذي مسرحه النوم ، حين يكفهر الواقع ا لحقيقي أمام أفكار ، و طموحات البطل.

* أجد في النوم الطمأنينة التي يشعر بها الناجي من الغرق ... أجد نفسي واقفا
على جزيرة صغيرة بسلام ، و قد تخلصت من أذرع الأمواج العالية الممتدة
شيئا فشيئا... تنسحب هذه ، ساكنة ...انتظارا لفرصة أخرى. (1)

كما تتشابك أفكار السارد ، لتجوب أعماق المرجعيات المسيطرة عليه ، من فلسفة و تأمل ، يرى فيهما الخلاص مما يخيفه ، و التخفيف من الرعب الذي بنتابه ، فلا يجد التخلص منه إلا عن طريق الحلم.

(1) – محمد عرعار، البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص 22

انـه العالــم الذي يستلذه الســارد ، و يستـأنسه ، يلتجـئ الـيه كلما عجـز عن تحـقـيق مــآربه فـي واقعـه الحـقيقــي ، فهو يرى في فضاء الحلم اتـساعـا أوفـــر لطرح مختلف الأفكـار، و الرغـبات .

*.... هو أنه كانت هناك كواكب ، و أجرام متعددة ، تتلاشى ، و أخرى تنبعث
فكانت الكواكب الأولى ، تتلاشى عندما يضفي بها مسارها إلى حافة معينة
كانت الأخرى تنبعث بدورها ،عندما تحتل مسارا من هذا الفضاء المحيط
و قد دفعت بي هذه الظاهرة إلى التساؤل : ما وجودي أنا من كل هذا ؟ (1)

إن اعتماد محمد عرعار على تقنية المادة الحلمية ، في الخطاب السردي ، جعله يقـترب من النمط القصصي في استفادته من حقول معرفيــة ، ذات صلة بحكايات ألف ليلــة و ليلـــــة و قد احتوت روايـتة ' البحث عن الوجـه الآخر' على أجزاء ضمت ثماني ليالي ، كل ليلـــة بحلم جديد ، ما عدا الجزأين الثـاني و العاشر، فهما يمثلان أحداثا تندرج في إطار السيرة الذاتية للبطل ، و الشخصية / الرجل الغريب /.

رقم الليلة	رقم الصفحة	المقطع
الليلـــــــــــــــة الأولى	5	الأول
الليلـــــــــــــــة الثانية	32	الثاني
الليلـــــــــــــــة الثالثة	38	الثالث
الليلـــــــــــــــة الرابعة	40	الرابع
الليلـــــــــــــــة الخامسة	54	الخامس
الليلـــــــــــــــة السادسة	63	السادس
الليلـــــــــــــــة السابعة	78	السابع
الليلـــــــــــــــة الثامنة	89	الثامن

لقد اهتم عرعـار بالكشـف عـن طفولـة شخصـياته فـي الروايـة ، البطـل / الرجـل الغريـب / ليتـذكر عـالم الصفاء و النقاء و الحنين إلى الماضي ،عالم مريح ، تلجأ إليه الشخصية عندما نشعر بالقلق و الاختناق.

(1) – محمد عرعار، البحث عن الوجه الآخر، م ، س ، ص 17

وبهذا يطمئن السارد ، حين تنقله أفكاره إلى عالم التأملات و الهدوء ، ليسترسل أيام الماضي ، وما تخفيه له سنين الطفولة من ذكريات يتخذها متنفسا ، ليفر من معاناة الحاضر.

* العودة إلى تذكر درب العمر أمر كثير التردد علي ، خاصة في فترة الصباح و المساء ، هذا التذكر المصبوغ بمسحة عاطفية ، يجرح شعوري بعمق.

تتبين لي حياتي في صورة معدودة ، و مواقف مضبوطة ، و كل يوم كان يبرز مني جانب ، مشكلا ملامحي و مبينا ميزاني . (1)

كما أن تتبع عالم الشخصية الغريب ، في الغالب ما يبرز بعض المواقف الغامضة ، التي تتجمع انطلاقا من رغبات ، و أزمات نفسية ، تتبلور إلى قرائن تساهم في تأويل سلوك و مواقف الشخصية .

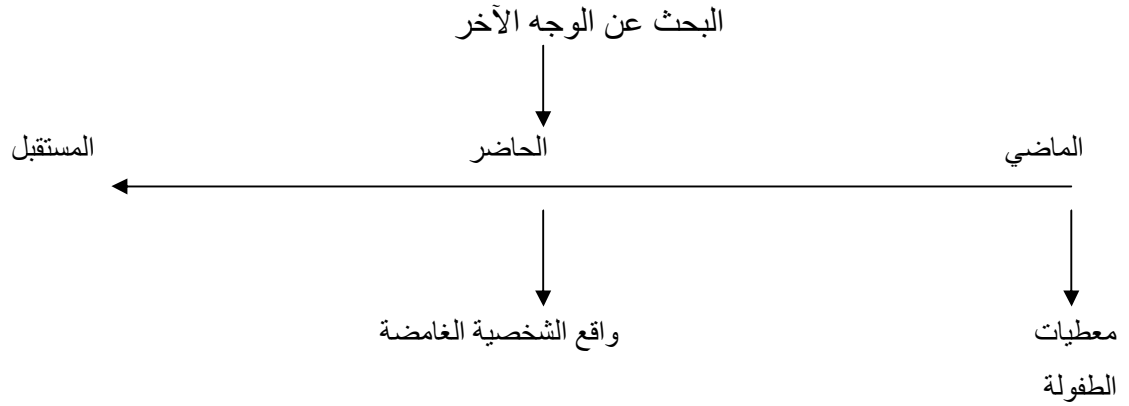

[أفعال ، أحداث ، مواقف ، أفكار]

فالحلم بالرجوع إلى الماضي ، يمثل الوجود المثالي للشخصية ، بحيث يتم فيها استحضار الأفعال و الأحداث التي وقعت ، بصورة طبيعية بعيدة و مجردة من كل قيد ، و هذا ما أخذت به الآراء في علم النفس بوصفه ‹‹ هو الرجوع و الارتداد ، قصد المحللون النفسانيون منه العودة إلى مرحلة الطفولة ؛ أي العودة لممارسة السلوك الطفو لية .›› (2)

(1) – محمد عرعار، البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص 19

(2) – خير الله عصار ، مقدمة لعلم النفس الأدبي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982 ، ص89

الفضاء الديني :

تعد المرجعيات ، و الحقول المعرفية المتعددة ، التي نـهـل منها الروائي ، لبناء أحداث روايـــة أدوات تعبيـــرية ، يستعملها في تكوين رؤيته للعالم ، أو للوجود ، و إبرازها في الحدث العام .

إن عالـــــم التصـــوف الذي بـــرز بوضوح في قصة الإســـــراء و المعراج ؛ لما هـو مثبت في القصة الأصليـــة الثابتـــة في القرآن الكريـــم ، والمتعلقـــة بإسراء الرسول صلى الله عليه و سلـــم ، من البيت الحـــرام إلى بيت المقـــدس ، و المـبـيـنـة لفضلـــه عند الله ، و تـــفضيله عن سائـــر المخلوقات .

إن الشخصية تأخـــذ من الفكرة منطلقا للرحلة ، و البحث يخلـــق بها أفكـــارا ، و أجـــواء لأحـــداث ، و مواقـــف يتطلـــع فيـها بالسمـــو إلى مـا هو أرقى ، و أفضل ، و لعلى هذا ما جعله يقـــارب القصة المرجعية القرآنيـة ، بالرغم من اختـــلاف المرجعيـــة ، و الهدف ، لتكـون في الأخير ‹‹ تجليات من نوع خاص ، يستمد خصوصيته من ارتكاز تجربة صوفية على محور ذهني خيالي ، كما فعل 'ابن عربي ' حين أمعن في قراءة معراج الرسول (ص) لكي تنشط المخيلة لديه فيتصور اسراءا ومعراجا خاصا ، يقوم على محض التخيلات الذهـنـيـــة ›› (1)

* صعدنا الى السماء و اخترقنا الفضاء .... شعرت بتناغم و تجاوب
مع كل ما يحيط بي ، قريبة و بعيدة ... النجوم المتلألئة، تتغامز
مفضحة هواها تدعو الى الوصال ... الشهب و النيازك ، تتسابق
مارقة مرحبة .... الكون يفتح صـــــــدره محضنـــــــــــا (2)

(1) – ثناء أنس الوجود ، قراءة نقدية في القصة المعاصرة، القاهرة ، دار قباء للطباعة ، ط2، 2000 ، ص 33
(2) – محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص 43

إن سمــو السارد بفـتــاتــه ، إلى العالم الآخر، يجعله يعيش فضاء مؤنســا ، يعيده الى طبيعة الإنسان الذي يحب ، و يكره ،عـالــم يـبـيــن له أهمية التماس مع الآخـــــرين لبناء محيط الألفة ، و الاستقرار.

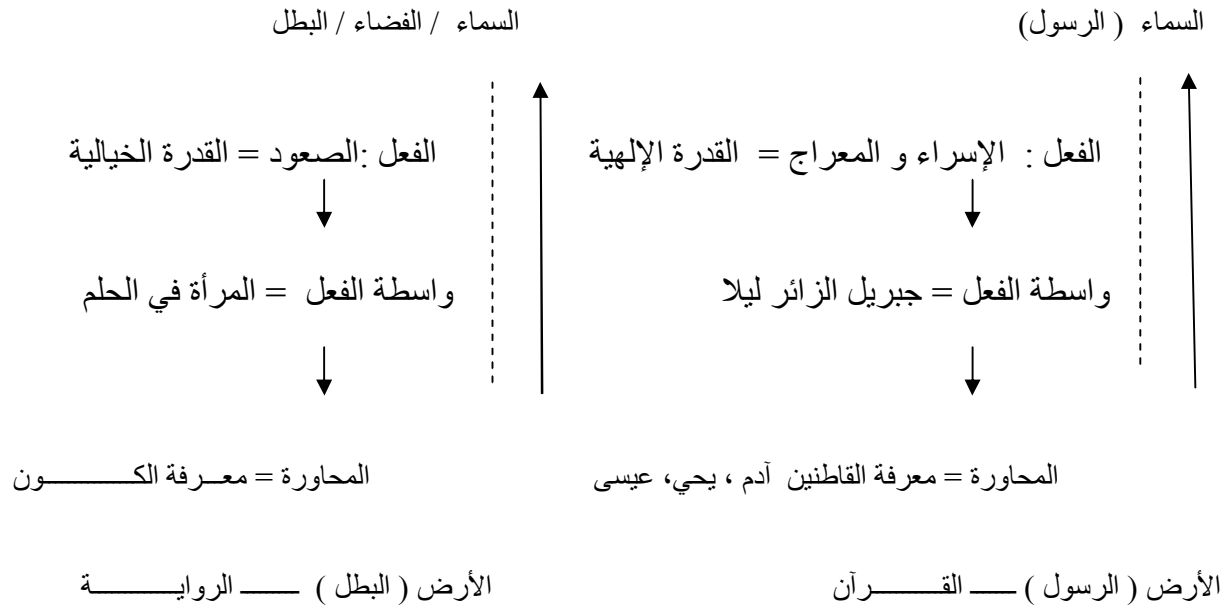

* ملكنـــــي خوف شديـــد و أنا أتصور نفسي أخترق حدودا كونيــة

أسمـــع بهـــا لأول مـــــرة .... لنعـــــــد إلى حـيـث كنا

إنـــــي لا أرغـب فـــي تعـــــــدي هـــذه الحـــدود ....(1)

و هكذا تقتـرب روايــة ' البحـث عن الوجه الآخر ' من عـالم السحـــــر، الذي لا يخلـو من الرعب و الهلع ، ولعل ما ارتاب الشخصية ' البطل ' من خوف في إسرائه ، و معراجه مع الفتاة ، يوحي بتقصير المؤلف ، في التجربة الخيالية ، من خـلال بلـورة الرحلة العجيبة ، التي لم تعط التفسير اللائق ، بل مسحت تلك الرحلة غـموضا يحجب أهدافها ، و إن كان المقصد واضحا ، هو البحث عن عالم خاص ، يتحقق فيه الصفاء و الارتـياح ، و بالتالي تحقيـق الوصال ، و الاندمـــــــــاج .

(1)- محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص44

- **الفضـــــاء المبهـــــــــم** : هو الذي يشار إليه دون تحديده ، فيبقى فضاء مبهما غير مفهوم تؤمن به الشخصيـــــــة وحدها ، لأنها تخلقـــــه في مقابل الإشارة إلى المكان المعلـــــــوم .

- لكن ما تيـقنـت منه ؛ هو أني راحــل يوما ، و عائـــد ، ما كنت ....

لهذا كانت الإشارة التي رأيتها غامضة ... إلى أين ؟ إلى الجنـــان ....(1)

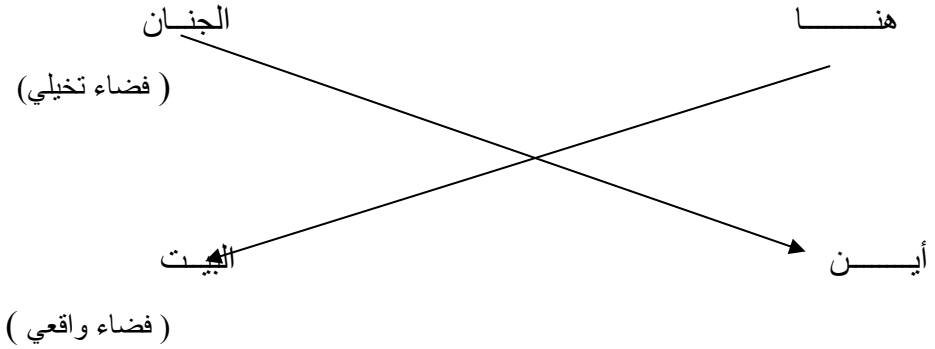

إن الخطاطـــة تبـيـن التقـاطب بين الفضاء الواقعي ، الذي يتحقق من تصـرفات السارد في البيت أو مكان العمل ، و الفضـاء التخـيلي الذي يتولـد عـنه غموض الغاية ، التي هي من نسـج الخيال في العالم الآخر.

- **فضـــــــــاء العمل** : فضـــــــــاء حقـيـقـــــي .

* في يوم ، و أنـا عائد من العمل حاملا .... لاحظت أن نورا ما يـنـفـذ من تحت باب سكنـــاي ، و أشـــرت إلى العمـــــارات الواقفـــــة على مقربـــــة منا ، شامخة ، مضاءة النوافـــــذ ، و الشرفـــــــات .(2)

كما أن العلاقة بين البواعث ، و الحالات النفسية ،علاقة اتصال و تواصل، مثلما يشير **حميد لحمداني** ‹‹ تبايـــن الأدوات ، و من ثم علاقة التشكيل الخطي الخارجي بالباعـــث النفسي ، باعتبار النص بواعث و صدى ، لعوالم داخلية ، مسيطرة على النفس البشريـــــــــة . ›› (3)

---

(1)- محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر ، م ، س، ص41

(2) – الروايـــــة ، م ، ن ، ص 46

(3) - حميد لحمداني ، يشبه النص السردي من منظور النقد الروائي ، م ، س ، ص 56

إن ما يربط أجزاء الرواية ، هو ذلك التكـــرار لبعض المفردات على مستـــوى المتن الروائي ، إضافة إلى عدم اهتمام المؤلف بالعناوين الفرعيـــة المحددة للأجزاء التي تتضمنها الروايـــة .

الألفاظ المكـــــــــررة	عـــــــــــددهـــــــــا
الغـــــــــريب	29 مرة
النـــــــــوم	22 مرة
الخوف ومرادفها	19 مرة
الحقيقـــــــة	19 مرة
الحلـــــــــم	10 مرات
التلاشـــــــي	12 مرة
التفكـــــــير	12 مرة

فهذا التكـــرار المتواجـــد على مستوى النص الســـردي للروايـــة ، و الدال على التـــــرابط يشيـــر أيضا ، إلى معانـــاة الشخصية من الواقع الحقيـقي ، الذي يطبـــع الشخصية بالانطوائيـــة فلا ترتـــاح للأخـــرين ، لكنهـــا تلجـأ إلى الحلـــم خوفـــا من الواقـع ، وعجزه في مواجهته فهي تفضل الحلم لتحقيـق رغباتها النابعـــة من تفكيـرها ، و تأملاتها ، فتتيح بذلك سيطرة العالم الغريب ، و شحن الشخصية باضطرابات نفسيـــة ، تـثير القلق ، و الخوف .

إن التكرار اللفظـــــي للكلمة في النص السردي ، عبر مساحة متن النص ، يجعل من المعنى الإجمالي ، أو الدلالة الكبـــرى ، تنتشـر عبر الفضاء النصي ، و من هذا المنطلق تنســـاب المعاني و تنسجـم لتحقـيـق جوهر الرواية ، و هدفهـــا .

الفضاء النصي : (L,espace Textuel)

هو الموضع المـــادي في الروايـــة ، أين يجـري فيه اللقـــاء بين وعى الكاتب ، و وعـي القارئ ويسمى أيضا الفضـــــاء الطباعي ، فهو كـيفية تموضع الحـبر عـــلى الورق ، و أهميتـه في الكتابات بعامة ، التي أعطته العناية الوفيرة لدى كثير من النقاد ، و الباحثين ‹‹ إن الفضـاء النصـي ليس لـه ارتبـاط بمضـمون الحكـي ، و لكنـه لا يخلـو مـن أهميـة ، لأنـه يحـدد أحيانـا طبيعيـة تعامـل القـارئ مـع النـص الروائي، أو الحقائق عموما ، و قد يوجه القـــارئ إلى فهم خاص ›› (1)

و مهما قيل عن الفضاء النصي ، للتقليل من أهميتـه في الدراسات النقدية ، يمكنه المساهمـــة في توليد المعاني و الدلالات ، و نقلها من سلسلة الخطية المقروءة إلـى مـا يكـتنفها من توزيع الخطوط ، كمـا يمتد أيضـا بانتعاش الخيـــال في الواقع المكاني ، ليكـون مجال الفضاء النصي مناخ الكتابـة المتنوعـة .

لقد اهـتمت الباحثـة **سيزا القاسم** بأهميـة الفضـاء النصـي ، و مـا يـوفره للقـارئ مـن خـلال التنظـيم المكـاني ، وعلـى مساحة الـورق عبر استخدام جمـالي و وظيفي ، يتحقق بواسطة التفاعل بينـه وبين خيـال المتلقي ‹‹ النص الأدبي يخضع إلى تنظيم مكاني أخر من حيث تكوينـه المـادي ، فـان الروايـة تـأتي فـي شكل كتاب ، يطبع بخط ، أو عدة خطوط مختلفـــة ، ينقســـم إلى فصول و فـــــقـــرات و جمل ، و علامات و ترقيمات ، فواصل و نقاط ، كلها تستخدم استخداما جماليا لتشكيل البناء الروائي .›› (2)

كما يعده جـيرار جـينـيـت (G.Genette) بأنـه ‹‹ أحد أشكال الفضاء في الدراسات الغربية ، التـي تعنـي كثيـرا بالوسائل البصرية ، من شكل الخطوط ، تنظيم الصفحة ، تشكيلات العناويـــن ، و الفصول ››. (3)

---

(1) – حميد لحمداني ، بنية النص السردي ، م ، س ، ص 56

(2) – سيزا القاسم ، بناء الرواية ، م ، س ، ص 65

(3) - ينظر ميشال بيتور ، بحوث في الرواية الجديدة ، م ، س ، ص 108- 131

و ظهرت في هذا الاتجاه ، عدة دراسات تناولت الفضاء النصي ، بتحليل العنوان ، و الغلاف ، أو اختتام الفصول ، و التنويعات المختلفة ، و المقدمات ، و فهارس الموضوعات .

لقد كان اهتمام **ميشال بيتور** (M. Buttor) كبيرا بالفضاء النصـــي ، بحيث لم يقتصر مفهومه على الرواية فقط ، بل نظر إليه نظرة التعميم ، و لدى أي مؤلف ؛ فهو الذي يحـــــدد طبيعة تعامل القارئ مع النص الروائي ، فضلا على توجيه المتلقي إلى فهم خاص للمنتوج الفنـــــي .

كما تطرق الباحث **حميد لحمداني** لمفهوم الفضاء النصي، الذي استمده من دراسات **ميشال بيتور** للمصطلح ، بحيث يرى إضافة إلى أنه الحيز، الذي تشغله الكتابة على مساحة الورق ، يشمل كذلك طريقة تصميم الغلاف ، و تنظيم الفصول ، وتغييرات الكتابـــة ...الخ ، فتناول الكتابة و أشكالها المختلفة مشيرا إلى الكتابة الأفقية ، يكون فيها استغلال الصفحة بشكل عادي ، من أقصـــى اليمين إلى أقصى اليسار، فتعطي بذلك الانطباع بتزاحم الأحداث ، أو الأفكار في ذهن البطل ضمن النص الروائي .

أما الكتابة العموديـة ، فيها استغلال الصفحة بطريقة جزئية ، كأن توضـــع الكتابـــة على اليمين أو في الوســـط ، أو على اليسار، و تكون أسطرا قصيرة ، لا تشمل الصفحة كلها ، كما حدد الباحث **حميد لحمداني** تلك المفاهيم ، و وظيفتها في الخطـاب السردي ، و هذا ما نتعرض إليه في رواية محمد عرعار " البحث عن الوجه الآخـــــــــر ".

يتوزع البناء الفني في رواية ' البحث عن الوجه الآخـــــر' ، من خلال تتبعنا لتشكل الفضاء النصي على عشـــرة فصول دون عنونتها ، و قد وظف الكاتب في روايته فضاء نصيا ، له دلالات تخضع لنمط التفكير، و التأمل ، و مقياسا لحدة الأزمات التي تعيشها الشخصية .

إن غـياب عنونـة الأجـزاء الأساسية ، و الفرعيـة ، هـو الـذي حـول الصفحـة إلـى كـتـلة سـوداء ، لا مجال فيها للمتـنـفس ، إذ تموضع الكتابة ، أو الحبر على الورق ، يخلق مساحات أفقيـة و أخرى عمودية .

لقد تحدث عن هذا الشكل ، كثير من الباحثين أبرزهم **محمد الماكري** الذي يشير إلى أن ‹‹ المساحات السوداء الأفقية ، تعتبر مناطق نشـاط ، يتم فيما خلق الإشكال ، لأنها مشكلـة من الحركة البنـائية أما المساحات البيضاء العمودية ، فتعتبر مساحات سكون ، لأنها تقدم مناطق منفتحة ، لا تشهد أية عمل بنـاء ؛ مما يعنـي أن المنقطع هو من مبدأ سكوني ، في حين أن المتصل من مبدأ دينامي . ›› (1)

*** نظام الكتابة :**

تعد الكتابة في الخطاب الروائي علامة محددة ، لطبيعتـة أو نوعه ، فشكل الكتابة ؛ هو بناء للدلالة أو المعاني ، التي تطرحها باختلاف الجنس الأدبـي ، الدال عن الإطار المميـز له ، فقراءتنـا لرواية " البحث عن الوجه الآخـر " جعلتنا نقف على نوعين من نظام الكتابـة :

1

- نظام الكتابة العمودية :

يقـترب هذا الشكل من نمط الكتابة الشعرية الحديثة ، فتظهـر بخط شاقولي أو عمـودي يجعلها لا تنـتشـر على مساحة الورق كلها ، و يتجلى هذا النـوع من الكتابـة فـي المقاطع السرديـة الممثلـة للحوار، و المقاطع التي تتضمن تأملات و أفكارا وليدة الكبـت ،و الخوف .

- غمرني شعور بالخوف ، و توقعت الاعتـداء علي ، في كل خطوة

... ترددت في اتخاذ موقـف إزاءه ، و منعني الخوف مـن مجابهته..... (2)

فتتحول تلك المقاطع السردية ، من خـلال التقـنية المستخدمة في الكتابـة ، إلى عبارات مبهمـة

(1) – محمد الماكري ، الشكل و الخطاب مدخل التحليل ظاهري ، المغرب ، دار النشر ، ط1 ، 2001 ، ص 102

(2) – محمد عرعار ، الحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص50

وغامضـة ، تبـدو فيهـا الشخصـية تنتقل مـن كـلام إلـى آخـر، دون اهتمـام ، حتـى يشعـــر القـــارئ ، أو المتلقي و كأنه أمام نص شعـــــري ، مفعـــم بكل الدلالات ، و الإيحـاءات البعيدة ، التـي تحـدد الطابـع الفكـري أو الفلسفـــي للروايـــة .

- الحيـــاة و المـوت معادلة وجـودنا ، لكننـــا نتعلق بالأولى ، و نهاب
- الثانية ... نهـوى الحياة ، لأننا ندركها و نعيشها ، رغم كل الأتعـاب
- و المآســي التي تتضمنـهـا ، و نرهـب المـوت ، لأننـــا لا نفهمهـا
- و لا نعيشهـــا ... الحقيقـــة لا تنكشف أمامنا ، فـنـدوم ضعفاـــــء ..... (1)

إن امتلاء الصفحة في الرواية ـ من اليمين إلى اليسار، يدل على استرسال المؤلف ، و إطنابه في ذكر التفاصيل ، وعرض الشروحات ، المتعلقة بالأحداث و الشخصيات ، وهو ما يظهر أكـثر في الروايات الكلاسيكية ، و يقل وجوده ، في الروايات الجديـــدة ، إلا عندما يريد الروائي شرح أفكاره ، و تأملاته و طروحاته الفكرية حول الكون ، أو الوجود، للعالم الإنسانـــي .

وكلا المظهرين نجدهما في رواية ' البحث عن الوجه الاخر ' ، عندما يعمد الروائي إلى عرض تأملاته الغريبة ، التي تمثل عالمه الحلمي، و السحري ، و هو العالم الذي تتبناه الشخصيات في حد ذاتها .

أمـا مظهر الكتابـة الأفـقية التـي تضـاهي الكتابـة الشـعرية الحديثـة (الشـعر الحـر) ، فـان الروائـي يستخدمها في إخفاء ما لديه من تأملات ، و تصورات ، و لا تصرح بها شخصياتـــه ، فيأتـــي الكلام مختصـرا يقتـرب مـن نمـط كتابـات البرقيـات ، التـي تـقتـصد فيهـا اللغـة ، و ذلـك مـا نجـده فـي معظـم الصفحات ، التي يقتـــرب نمـط كتابـتها من القصيـدة الشعـــريـــة ، ذات الزخـم الفكـــــــري

(1) – محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص 28

و التشبـــــع العاطفي الشديديـــن ، و كأن الروائـــي يظهر بمظهر الشاعـــر، فيكتب روايته بروح الشعـــــر ، و بإيحاءاتـــه العميقـة ، و رموزه المكـثفة ،و أبعـــاده الدلاليـــــة الغامضـة ، التي تصل إلى حد الإبهام ، و من ثمة تجد الشخصيـــات عالمها ، و وجودها الخفـــي ، استنـادا إلى ما يخفيه الروائي من رغبات ، و أحلام .

يبدو للقارئ من الوهلة الأولى ، و كأنه أمام قصيدة شعـرية طويلة ، تحمل همـــوم صاحبها وآذاه ، من الواقع و هشاشته ، و يهدف الروائي إلى مواجهة تلك الهمـــــوم ، و تجاوزها إلى عالـم آخر، يتـــلاءم مع طبيعـــة الأفكـار ، و التأملات .

إن القارئ لرواية " البحث عن الوجه الآخـــــر" لا يجد أبياتا شعرية صريحة ، و لكنه يلتمس محاكاة لنمط الشعر ، بحيث تتجلـــــى له خصائص الشعـــر في بعض المقاطـع السردية ، و تظهر بوضوح في اللغة المستعملة ، و الكتابة المعتمـــدة .

* خفـــــــت أجـــــــــل ، خفـــــــــــــت .

طويت هـــــذه الحقيقة بين ضلوعي ، و حاولت دفنها .

إنها جارحة و مؤلمة ، كالعمـــر الذي ينتهـــــي بشاب.

إنها نابضـــة ، مترددة كنبض الكـــــون بكليتـــــــــه . (1)

إن هذه المقاطع السردية تذكرنا بمقاطع الشعر الحديث (الشعر الحر) أين تظهر فيها شعرية اللغة و الألفاظ الموحية ؛ ذات المعنى المتعدد ، و التأويل المفتوح ، و يصدر هذا كله عن بحث الذات الشاعـرة لمفهوم الحقيقـة ، برؤية ذاتية بمشكلاتها ، و هواجسها ، و هذا ما لا يتحقق إلا من خلال اللغة الشعرية.

(1) – محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص 28

و هذا لا يعني أن الشعر يقتصر على الوزن ، و القافية ليكون شعـرا ، بل هناك ما هو أسمى من ذلك كالإحساس ، و الصدق في الشعور، و يذهب العقاد بوصفه اللغة التي يريدها ‹‹ إنما نريد باللغة الشاعرة أنها لغة بنيت على نسق شعري ، في أصوله الفنيـــة ، و الموسيقيـــة ، فهي في جملتها فن منظوم متسق الوزن ، و الأصوات ›› . (1)

الأمر الذي يؤهل النثر إذا توافرت له تلك العناصر، ليحقق الوظيفـة التعبيرية المبنية على صدق الأحاسيس و أنبلها ، بحيث يمكن للقطعة النثرية أن ترتقي لمنزلة الشعر إذا وجد ما سماه العقاد " النظم " أي حسن اختيار المفردات ، والمعاني المنسجمـــة ، من خـــلال اتفاق الأصوات ، و انسجام النبرات .

إن رواية " البحث عن الوجه الآخر " هي الأنمـــوذج الذي يطرح فكرة تجديـــد الجنس الأدبي و يتجلى ذلك من نظام الكتابة المنتهج ، الذي يقارب كتابة النصوص الشعرية الحديثة ، و بخاصة المقاطع التي يهتم السارد فيها ، بعرض ما يختلج في أعماق الشخصية من خواطر، و مشاعـــر.

- انـــــك تسخر مني ..أنت غير مرئي . بل إني جد مرئي .....
إذ أنـك لا تستطيع أن ترى شيئا دون أن تراني .. بدوري . (2)
* وعـيت بصورة إجمالية الحقيقة .. الحقيقـــــة التي هي أنا .....
غاب عني الشيء، فكنت الشيء ، بعد أن لم يكن هناك وجود للشيء . (3)

في المقطعين تصوير لاضطرابات نفسية ، و التي تنطلق من فكرة اللاوجود المنبثقـــة من الإحساس المهيمن على الشخصية ، من تراكمات الماضي و معاناة الحاضر، و شبح المستقبل الذي يقاومه في الحلم واليقظة ، لتحقيق الأهداف ، التي يبني عليها السارد تصوراته ، و تفكيـــره .

(1) – العقاد ، اللغة الشاعرة ، ' مزايا الفن و التعبير في اللغة العربية ،مصر ، مكتبة الانجلو مصرية ، ص8

(2)– محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص 30

(3) – الروايـــــــــــــة ، م ، ن ، ص 84

2 - **نظام الكتابة الأفقية** :

ونـعنـي بها الكتابة التي تشمل مساحة الصفحة ، من اليمين إلى اليسار ، و لعل التـقنـية الملائمة لهذا النمط من الكتابـــــة ، تقـنية الوصف التي تغلب على بعض صفحات المقاطع السردية ، من وصف للأمكنة ، والأشياء ، والشخصيات ، و يظهر بوضوح في الجزأين اللذين اهتم فيهمـا الســـارد بعرض السيرة الذاتية للبطل و/ الرجل الغريب / ، بشتى الصور في عرض الحياة الطفوليـــة ، وهذا ما جعلـــها تبدو كتابـــة مكـثـفـــــة .

إن امتلاء الصفحات في رواية " البحث عن الوجه الآخر" على سبيل نظام الكتابة الأفقية ، التي يستعملها الروائي في تكثيف الحمولة اللغوية للصفحة ، يظهر على ثلاثـــــــــة مظاهـــر أو أشكال :

المظـــــهر الأول : تمثله المقاطع السردية ، من خلال تـتبـع الشخصيات ، سواء عـــرض السيـــرة الذاتيـــة لشخصية البطل ، أو شخصية / الرجل الغريب / و طبيعة الأحداث (حدث السيـــرة الذاتيـــة أو البيـبيـوغرافيا) ، تـفرض استرسالا في عرض تفاصيل حياة الشخصيـــة ، عبر مراحل متعاقبـــــة و منتظمة ، من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب .

كما أن العرض المفصل التطرق إلى عالم الطفولة ، أدى بتكثيف الكتابة التي تشير الى انسياب الأفكار التي تـتـدفق من الذكـــريات .

- و هـذا البيت ما يـزال قـائما الى حـد اليوم على شكـــله الأول

دون تعديل ، يحظى منـي من حين لآخـر ، بزيارات خفيفـة

لكـنها مشحـونة بمشـاعـر مضطربة ، يغـلب عليهـا التـألم ...

و مصدر هذا التألم خـفي عـني ، رغم أنـــه ينبع من أعـماقـي (1)

(1)– محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص 67

في المقطع السابق المتضمن السيرة الذاتيـة للشخصية البطل التي يشوبها كثير من الغموض ، و لعله هو الذي جعلها تخاف الواقـع ، و تحـتمي بالحلم لتحقيق ما تريده من أفكـار .

إن الروائـي لـم يذكر حدث السيرة الذاتية ، بصورة متعاقبة في الرواية ، بل جاء ذكرها بصورة متباعدة حسب منطق ترتيب الأحداث ، و رؤية السارد في البناء الفكري للروايـــة.

* وقـد توصلت في نهاية المطاف ، بعد تجربة الجنس ، و المعايشة الحقيقية ، إلى أننا جميعا واحد ، **رغم** كثرتنا التعدادية ، و تنوعنا الظاهري ... و إني لا أقصد الإنسان بمفرده ، و إنما كل شـــيء الجماد و الحيوان و الإنسان و النبات و الجن و الملائكة ، و غيـــرها . (1)

إن نظرة السارد إلى واقعه نظرة شاملة ، يرى فيها أن كل المخلوقات ، في حاجة إلى تغيير خاضع لمتطلبات الحياة ، و ظروفها ، ويكون الإنسان الأولى بهذا التغيير، لأن متطلبات حياتـــه أعمق ، و أدل من غيره ، و بالتالي بناء حيـاته وفق ما تتطلبه كينونتـــــه .

* و اختلافنـــــا الموجود هو الدليل على وحدتنا و توحدنا ، و إنما ترائينـــا على صـــــور مختلفـــة في أماكن ، و أزمنة متعددة في مجال وعيينا المحدود المقيد ، الذي هو هكذا في حياتنـــــــــا ... (2)

يسعى السارد من خلال هذه المقاطع السردية ، إثبات وجوبية التغير، و عدم الرضى الذي يتولد عند الفرد جراء تأثـير عوامل داخلية ، تتمثل في حقيقة وجوده ، و نشأته ، إضافة إلى عوامل خارجية تفـرزها مختلف المؤثرات الاجتماعية المادية ، و المعنويـــــة .

(1)- محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر ، م ، س ، ص75

المظهر الثاني : و تمثلـه المقاطـع السرديـة الدالـة ، على شروحـــــات الروائـي ، و تدخـلاتـه

في تفسيـــر معـظم الأفكـار ، و التأمـلات ، التي ما هي فـي الحـقيقـة ؛ إلا أفكـار شخـصيـاته فعـندما يـشعـر الروائـــي ، أثـناء بنـاء الحـدث ، و البحث عن تشكـيل الشخـصيـــة المـلائمـة لـه عـن طريق الإيهام ، و الغـموض .

و هـذا ما يـفرض عـليه اللجـوء إلى التفصيـل فـي الشروحـــات ، لـتـــلك الأفكـــار، و التأملات التي تبني عـلمه السـحـري ، أو المثالـي ، لأنه مهما استغـرقت الروايـة من الغـموض ، فهي - على الأقـل توحـي بفكـرة معينـة ، أو مقـصديـة محـددة ، تدل على لب الروايـة و مدى تحقيقـها للهـدف العـام .

* حينمـــا أدركـت سيطـرة نـاموس الحـياة ، استطـعت ايجـاد

مـواقف أرقـى ، غير مـوجودة فينا ، و في غيرنـا لكـــنها

مـدفوفة و متـوارية ، لا يستـطيع اسـتدراجـها إلا القـليـلـون

بمـوجب استـعدادات معينة ، و لعل أبرز هـؤلاء ، هم الأنبيـــاء

ثم العباقرة ، طبعـا بـدرجـات متـفـاوتـة . (1)

المظهرالثالث : تمثله المقاطع السردية التي تستغرق فيها الشخصيات ، في عرض تفاصيل أحلامها المتكررة و المتواترة ؛ إذ أن المادة الحكائية لرواية " البحث عن الوجه الآخر " هي مادة حلميـة تستند إلـى مـا تعيشه الشخصيات من أحلام و يقظـــة .

- يخـــال لي أيها الزائر ، أنك أخطأت معي و حسبتني شخصا آخـر. فقاطعني بحدة: بل أنت . ثم أكمل بخفوت : لأنك أ نا . فرغبت في وضع حد لهذا الحديث اللامجدي . وماذا تريد؟ جئت لزيارتـــــــــــــك. (2)

(1)- محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر، م ، س ، ص74

(2)- محمد عرعار ، م ، س ، ص6

فالشخصية في المقطع السابق تختار الحلم لمحاورة الزائر ، و هذا ما يدل ضمنيا على أنها تعجز على المواجهة الواقعية ، بسبب ما تخفيه من أسرار، يفرضها الماضي ، كما يتضح في بعض المقاطع السردية ، و بخاصة تلك التي يتحدث فيها عن مولده ، و نشأته في صفحات الرواية من جهة و الانفراد بزائره ، بتوخيه الحيطة ، وعدم بوحه بكل ما لديه من أسرار من جهة أخرى ،عدا الذي يتسنى له خلال التصرفات في العالم الحلمي .

- و بينما أنا أتساءل ، وضعت قدمي في بركة ماء ، فتعثرت و وقعت ... شعرت بنفسي أتحطم كمرآة تتهشم ، عزمت على النهوض بسرعة ، فوجدت صعوبة ..تمنيت مساعدة شعرت بيد تمسكني من ذراعي ..حركتني قليلا ثم رفعتني ، فكنت واقفا غير متعثر ، ثابت القدمين . (1)

من خلال هذا المقطع السردي ، يتضح بأن السارد يفسر تصوراته من خلال أحلامه ، ليخفف من صدمة الفشل التي لا يطيقها ، إذا ما تحققت في الواقع الذي يعايشه .

انه يصعب على الروائيين الاستغناء عن الحلم ، لما له من دور في تجميل العمل الروائي ، كونه لا يخضع إلى حدود ، بل يعطي للروائي مجالات غير محدودة للابتكار، دون أن يجد نفسه مضطرا إلى التبرير ، أو الرضوخ لقواعد الواقع ، و قيمه .

إن للحلم وجود خارج سيطرة العقل ، و المنطق ، فهو مستتر باللاوعي ، الذي يحتمي به الروائي حين التدقيق و التنقيب في أحلامه ، كونها تحميه من روتينية الحياة ، فالحلم بقدر ما هو نقيض للواقع فانه يلتف به ، و طرح للبديل عنه .

(1)- محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر، ع ، س ، ص31

يعتمد الروائي محمد عرعار في روايـة " البحث عن الوجه الآخـر " على فضاء الأحلام ، لتكسير المستحيـل ، قبل استسلامه إلى الواقع أثناء اليقظة ليتمتع بالمعقول ، بعد ما تمتـع و تلذذ بمظاهره في الأحلام ، التي لا تستمر سوى لحظات ، و لا يتعدى مفعولها بضع الساعات .

ولعل ما يفسر اعتماد الأحلام في العمل الروائي ؛ هو الواقع الذي تعايشه الشخصيات ، مما يجبرها على ضرورة البحث عن بدائل ، يجهـر من خلالها بالمطلوب ، و التصور الذي يعجز عنه الإنسان في واقعه كما يرى **نيتشيـه** بأن ‹‹ في الحلم بقية من الإنسانية الأولى لما تمت ، وما عدنا اليوم نملك بلوغها من طريق مباشـر ›› (1) ، و من هنا يبقى الحلم في الرواية كالخيال ، أو هو تأويل له ؛ إذ كلاهما من محفـزات الكتابة ، و ضرورة أساسية للفن .

1- **تصميم الغلاف** :

إن تصميم الغلاف في الرواية الجديدة بعامة ، و في روايـة ' البحث عن الوجه الآخر ' بخاصة يعبر عن تشكيل تجريدي ، يبتعد عن معطيات ميسرة ، تساهم في تحديد معنى الروايـة ، أو معرفة هدفها العام ، مثلما تجده في الروايات التقليديـة ، التي يتضمن غلافها مقدمات ، أو رسومات هامشية ، توحي إلى القارئ ، بتبيين فكرة عن النص الروائـي .

فالغلاف في روايـة " البحث عن الوجه الآخر" يحتوي اسم المؤلف ، بخط سميك أسود ، أما عنوان الرواية كتب بلون بني ، دون وجود لأية إشارات ، أو علامات توجيهيـة للقـارئ .

2 - تنظيم الفصول :

الكشف عن تنظيم الفصول في روايـة " البحث عن الوجه الآخر" هو محاولة تتبع الدارس

(1)- ينظر هيثم حسين ، الحلم معجزة النص الجمالية، ط 2 ، دار المعارف للنشر و التوزيع ، ط2 ، 2000 ، ص 28

للخط التعاقـبي ، أو المسار الترتـيـبـي للأحـــداث ، و الفصول في الرواية ، يخضـــع للـــترقـيم من واحـد (01) إلى عشـرة (10) ترقيما تصاعديا ، يوهم القارئ بوجـود بنية ذات طابع كرونولوجـي تجعله يتريث للكشف عن الروابط المنطقية بين هذه الفصول ، وما فيها من تذبذب ، على الرغم من وجود رابـط يحكمها ، ذو طابع فوضوي ، يعـبـر عن رؤى ، تستخلص من الروابـط الزمنـيـة .

إن المبرر لتلك الاهتزازات في الزمن ، تخضع لرؤية السارد نفسه ، في التعريف بشخصياته ، ومحاولة التدقيق في المواقف ، والسلوك ، والعلاقة بين الفصول علاقة احتواء ، بحيث كل فصل يطل على فضاء سردي ، تختـلـف بـنـيـتـه عن سابقه ، و ما يلحقه من الفصـــول .

كما تبدو فصول الرواية من أول وهلة ، متباعدة ومتناثرة ، ولكنها في حقيقة الأمر متماسكة غير ما يظهر للمتلقي من تأويل ، نتيجة النمط الزمني التقليدي ، الماضي / حاضر / مستـقـبـل ، الذي انتهجـه السارد في الرواية ، هو تشكيل خاص بلائم المنحنى النفسي ، أو الفكري للشخصية المحورية في الرواية (شخصية البطل) ، بحيث تعيش الشخصية انفصالا بين حاضرها الأليم ، وماضيها السعيـد ، الذي يحقـــق لها الارتياح ، والاستقرار ، وهذا ما يتجلى من خلال تشكيل الفصول ، وتنظيمها في تكوين المتن الروائـــــي .

فالفصل الأول ؛ يســـوده زمن الماضي ، نعـثـر فيه على الشخصية المحوريـــة تحـاور شخصيات غريبـــة في الحلم ، فـتـصـاب بحالة قلق مؤثر، تعمل على التخلص منه ، باستسلامهـا للنـوم ، قصد جلب الارتيـاح ، و المـؤانســـــة.

أما الفصل الثاني ، تـبـدأ الشخصيـة المحورية بـتـذكر الماضي ، و الحنـين إليه بسرد سيرتها الذاتـيـة ، عن طريق الارتداد ، لتصل في الأخير إلى جزء من الحقيقـــة التي كونت طفولتها .

أما في الفصل الثالث ، فتبدو الشخصية البطل حبيسة الحلم ، بمحاورتها الصوت المجهول لينتهي الحلم بلقاء المرأة الزائرة ، و تعود الشخصية المحورية ، في الفصل الرابـــع ، لتعيش الواقع ، حين تلتقي مع شخصية حقيقية (الرجل الغريب) ، ليزداد تعلقها به ، و التلـــذذ إلى سماع سيـــرته ، و الشوق إلى مجالسته ، و تتعاقب النظرة إليه من فصل لآخر، بعد انسحابه من فضاء الواقع ، والحلم ويختفي نهائيا ، و تتأسف الشخصية على ذهابـــه .

و بذلك تـنتهي الرواية إلى نهاية مفـتوحة ، من خلال إصرار، و عـــزم الشخصيـــة على البحث عن / الرجل الغريب / ، الذي قد يمثل الوجه الآخـر المبحـوث عنه ، و يمثل في الوقت نفسه صورة مطابقـــة لصورة البطل.

3- **العـــنوان**:

يعـد العـنوان من أهـم عناصر النـص الموازي ، وملحقاته الـداخلية ، نظرا لكونه مدخلا أساسيا في قـراءة الإبـداع الأدبي التخـييلي بعامـة ، و الروائـــي بخـاصـة ، انـه عتبـة النص و بـدايـتـــه هـو عـلامة لسانية و سـيميولوجـية ، غـالبا ما تكون في بداية النـص ، لها وظيفة تعينـيه ، ودلالـية تأشيريـة ، أثناء تلقـي النص ، و التلـذذ بمجريات الأحداث المختلفة ، في الإنتاج الروائـــي .

4– البياض :

إن للبيـــــاض وجـــود دلالـي ، يفســـر رغـبة الســـــارد، و مـا يظهـره مـن حـالات نفسيـــــة ، يعيشهـــا داخل الروايـــة ، وهدفـــه في تصور الأحـــداث المتتاليـــة ، التـي يتوا فر عليها النص الســـــردي ، و قد يكون البيـــاض تعـبـــيرا طبيعيـا ، كنهاية الفصول مثلا ، ومؤشرا لمقاومـة بعض التصورات ، و التأمـــلات التي تـثـير الشخصية ، وتجعلها مترددة في الحكم الآخـر

إن الفضاء في رواية ' البحث عن الوجه الآخـــر ' يلف مجموع الرواية ، على حد تعبير **حميد لحمداني** ‹‹ إن الفضاء يلف فضاء الرواية ، بما فيها أحداثها التي تقوم في السرد ، لأن هذه الأحداث تفترض دائما ، استمرارية للمكان الذي لا يعني أن الفضاء مكون من الأحداث ، و لكنه يؤطرها ، انه موجود بالضرورة أثناء جريان الوقائـــع .›› (1)

إن مفهومـــه لا يتحدد بالأحـــداث ، و إنما يتشكل من طبيعــة واقعيـــــة (الأمكــنة ذات البعد الجغـــرافي الحقيقي) من جهة ، و تدل على طبيعــة سحـــرية خرافيـــــــة (الأمكـنة ذات البعد الأسطـــوري) من جهة ثانيـــة .

و عليه ، يكون عنصـــرا من العناصـــر التي تشكل لب الروايــة ، بحيث تقـدم على ثنائيـــة (الحلم / الواقع) ، التي تناسب فكرة الشخصية ، و الوجه الآخر لها .

لقد تطور الوعي بالفضاء في الكتابة الروائية العربية الجديدة – على الأقل – منذ **فلوبيـــر** و **بروست** وصولا إلى الرواية الجديدة في فرنسا ،على يد **ميشال بيتور** فتطور المفهوم بالمعنى الذي لم يعد مجرد عنصـر تكميلـي، مقحـم فـي النصـوص السرديـــة ، بـل أضـحى حضـــورا كـاملا فـي الخطـاب الروائـــي، على نحو ما ذكره كـثـير من النقاد فيما سبق ذكره ، و ذلك إلى الحد الذي يجعلنا نقول: بـان الفضاء هو أحــد العلامات المميـــزة للكتابة الروائيــة الجديــدة .

(1) – حميد حميداني ، بنية النص السردي ، م ، س ، ص64

وغامضة ، تبـدو فيها الشخصية تنتقل من كلام إلى آخر دون اهتمام ، حتى يشعر القـــارئ أو المتلقي و كأنه أمام نص شعري ، مفعم بكل الدلالات و الإيحـاءات البعيدة التـي تحـدد الطابــع الفكري أو الفلسفة للرواية .

- الحياة و الموت معادلة وجــودنا ، لكننا نتعلق بالأولى و نهاب
- الثانية ... نهوى الحياة لأننا ندركها و نعيشها رغم كل الأتعاب
- و المآسي التي تتضمنها، و نرهـب المـوت لأننـــا لا نفهمها
- و لا نعيشها ... الحقيقة لا تنكشف أمامنا ، فندوم ضعفاء ..... (1)

إن امتلاء الصفحة في الرواية من اليمين إلى اليسار، يدل على استرسال المؤلف و إطنابه في ذكر التفاصيل ،وعرض الشروحات المتعلقة بالأحداث و الشخصيات ، وهذا يظهر أكـثر في الروايات الكلاسيكية ، ويكـون وجودها في الروايات الجديدة ، عندما يريد الروائي شرح أفكاره و تأملاته و طروحاته الفكرية حول الكون أو الوجود، للعالم الانساني .

وكلا المظهرين نجدهما في رواية ' البحث عن الوجه الاخر ' خاصة عندما يعمد الروائي إلى عرض تأملاتـه ، التـي تصـل إلى حد الغرابـة وهـي تمثـل عالمـه الخـاص ، عـالم حلمـي وسحري يمثل عالما يـبـنية الروائـي بـنـفــسه ، و هو العالم الذي تتـبناه الشخصيات في حد ذاتها .

أما مظهر الكتابة الأفقية التي تضاهي الكتابة الشعرية الحديثة (الشعر الحر) فان الروائي يستخدمها لما لا يريد البوح بكل ما لديه من تأملات و تصورات ، تخفيها شخصياته في الرواية ، فيأتـــي الكلام موجزا مختصرا يقترب من نمط كتابات البرقيات التي توظف فيها اللغة باقتصاد شديد ، و اختزال كبير، و هذا ما نجده في معظم صفحات رواية محمد عرعار " البحث عن الوجه الاخر " التي يقترب نمط كتابتها من القصيدة

(1) – محمد عرعار ، البحث عن الوجه الاخر ، م ، س ، ص 28

الطويلة التي تتسم بالزخم الفكري ، و التشبع العاطفي الشديدين ، و كأن الروائـــي يظهر بمظهر الشاعـــر و يكتب روايته بروح الشعر ، و بإيحاءاتـــه العميقـة ، و رموزه المكـثفة

و أبعاده الدلالية الغامضة ،التي تجعل الدلالة ذات عمق في الرواية ؛ تصل إلى حد الإبهام و من ثمة تجد الشخصيـــات عالمها و وجودها الخفــي ، استنــادا إلى ما يخفيه الروائي من رغبات آلام و أحلام .

فكأننا في نهايــة الأمر، أمام قصيدة شعرية طويلة تحمل هموم صاحبها وآذاه ، و أذى الواقع و هشاشته - حسب وجهة نظر السارد- التي يهدف الروائي إلى تغييرها ، و تجاوزها إلى عالــم آخر، يتـــلاءم مع درجــة طبيعــة أفكاره و تأملاته .

إن القارئ لرواية " البحث عن الوجه الاخر" لا يجد أبياتا شعرية صريحة ، و لكنه يلتمس محاكاة لنمط الشعر ، بحيث تتجلى له خصائص الشعــر في بعض المقاطع السردية و تظهر بوضوح في اللغة المستعملة و الكتابة المعتمدة .

* خفت أجل، خفت .

طويت هذه الحقيقة بين ضلوعي ، و حاولت دفنها .

إنها جارحة و مؤلمة ، كالعمر الذي ينتهي بشاب.

إنها نابضة ، مترددة كنبض الكون بكليتـــــــــــه . (1)

إن هذه المقاطع السردية تذكرنا بمقاطع الشعر الحديث (الشعر الحر) أين تظهر فيها شعرية اللغة و الألفاظ الموحية ؛ ذات المعنى المتعدد و التأويل المفتوح ، و يصدر هذا كله عن بحث الذات الشاعرة لمفهوم الحقيقة ، المشكلة للبـؤرة الذاتية، مشكلاتها و هواجسها و هذا ما لا يستوعب إلا من خلال اللغة الشعرية التي تحقق أصول الشعر و خصائصه .

---

(2) – محمد عرعار ، البحث عن الوجه الاخر ، م ، س ، ص 28

يقول **العقاد** : ‹‹إنما نريد باللغــة الشاعرة أنها لغــة بنيت على نسق شعـري في أصوله الفنية و الموسيقية ، فهي في جملتها فن منظوم متسق الوزن و الأصوات ›› . (1)

و هذا ما يعني أن الشعر لا يقتصر على الوزن و القافية ليكون شعرا ، بل هناك ما هو أسمى من ذلك كالإحساس و الصدق في الشعور ، الأمر الذي يؤهل النثر إذا توفرت له تلك العناصر، ليحقق الوظيفـة التعبيرية المبنية على صدق الأحاسيس و أنبلها، بحيث يمكن للقطعة النثرية أن ترتقي لمنزلة الشعر إذا وجد ما سماه العقاد " النظم " أي حسن اختيار المفردات و المعاني المنسجمـة ، من خـلال اتفاق الأصوات و انسجام النبرات .

إن رواية " البحث عن الوجه الآخر " هي النمـوذج الذي يطرح فكرة تجديد الجنس الأدبي ، بحيث تمثل عيينة لخلخلة الأجناس الأدبية ، و يتجلى ذلك من نظام الكتابة المنتهج الذي يقارب كتابة النصوص الشعرية الحديثة ، و على الخصوص في المقاطع التي يهتم السارد بعرض ما يختلج في نفس الشخصية من خواطر و مشاعر.

- انك تسخر مني ..أنت غير مرئي . بل إني جد مرئي ...

إذ أنك لا تستطيع أن ترى شيئا دون أن تراني .. بدوري . (2)

* وعيت بصورة إجمالية الحقيقة .. الحقيقة التي هي أنا ، و التي هي أنا .

غاب عني الشيء، فكنت الشيء، بعد أن لم يكن هناك وجود للشيء . (3)

في المقطعين تصوير لاضطراب نفسية السارد، التي تنطلق من فكرة اللاوجود المنبثقـة من الإحساس المهيمن على الشخصية من تراكمات الماضي و معاناة الحاضر و شبح المستقبل الذي يجاهد فيه خباياه و يقاومه عن طريق اليقظة و الحلم كونه يرى فيه الخلاص و الأمان ، و تحقيق الأهداف التي يبني عليها السارد تصوراته و تفكيره . .

(1) – العقاد ، اللغة الشاعرة ، ' مزايا الفن و التعبير في اللغة العربية ،مصر ،مكتبة الانجلو مصرية ، ص8

(2)– محمد عرعار ، البحث عن الوجه الاخر ، م ، س ، ص 30

(3) – محمد عرعار ، البحث عن الوجه الاخر ، م ، س ، ص 84

2

2 - **نظام الكتابة الأفـقية** :

وهي الكتابة التي تشمل مساحة الصفحة من اليمين إلى اليسار ، و لعل التقنية الملائمة لهذا الـنمط مـن الكتابـــــة تقــنية الوصـف ،الغالبـة علـى بعـض الصـفحات و المقـاطع السـردية و وصـف الأشـياء ، والشخصـيات ، و الأمكنـة و يتجلـى ذلـك بوضـوح فـي الجـزأين الـذين اهتم فيهمــا الســـارد بعرض السيرة الذاتيـة للبطـل و للرجـل الغريـب ، بشـتى الصـور فـي عرض الحياة الطفوليـــة ، وهـذا ما جعلـــها تبدو كتابـــة مكثفة .

إن امتلاء الصفحات في رواية " البحث عن الوجه الآخر" على سبيل نظام الكتابة الافقية ، التي يستعملها الروائي في تكثيف الحمولة اللغوية للصفحة ، يظهر على ثلاثة مظاهر أو أشكال :

المظـــــهر الأول : تمثله المقاطع التي تدل على السيرة الذاتية للشخصيات سواء عــرض السيــرة الذاتيـــة لشخصية البطل أو شخصية الرجل الغريب ، إذ طبيعة الأحداث (حدث السيرة الذاتية أو البيبيوغرافيا) ، يفرض استرسالا في عرض و تفاصيل حياة الشخصية ، عبر مراحل متعاقبة و منتظمة ، كمرحلة الطفولة ثم مرحلة الشباب ؛ باعتبار أن شخصية البطل و شخصية الرجل الغريب ، يتدفق سنهما عند مرحلة الشباب فهناك عرض مفصل و موسع لحياتهما الأولـــى ، مما يجعل الفضاء النصـــي للصفحة ممتلئـــا و مكثـــفا ، يخضع لانسياب أفكار الشخصيات التي تتدفق من الذاكرة .

إن الروائي لم يذكر حدث السيرة الذاتية بصورة متعاقبة في الرواية ، بل جاء ذكرها بصورة متباعدة حسب منطق ترتيب الأحداث ، و رؤية السارد في البناء الفكري للرواية.

93

* وهذا البيت ما يزال قائما إلى حد اليوم ، على شكله الأول دون تعـــديل يحظي مني من حين لآخـــر ، بزيارات خفيفة لكنها مشحونة بمشاعر مضطربـــــــة يغلب عليها التألم بشكل .. . و مصدر هذا التألم خفي عني ، رغم أنه ينبع من أعماقي و يجعل عيني تدمعان محرقتـــين . ولادتي المضبوطـــة فعليا و تاريخيا أصبحت بعد سنوات مصدر تساؤلات كبيرة لا أجـــــــــد ... (1)

في هذا القطع المتضمن السيـــــــــرة الذاتية للشخصية البطل ، و التي يشوبها كثير من الغموض ، و لعله هو الذي يسيطر على الشخصية ليجعلها تخاف الواقع و تحتمي بالحلم لتحقيق مآربها الشخصية.

المظهـر الثاني : و تمثله المقاطع السردية الدالة على شروحات الروائي و تدخلاته في تفسير معظم أفكاره ر تأملاته ، التي ما هي في الحقيقة إلا أفكار شخصياته ، فحينما يشعر الروائي في بنائه للحدث و تشكيل الشخصية الملائمة له بالغموض و الإبهام ، في هذه الأثناء يلجأ إلى ذكر تفاصيل و شروحات تلك الأفكار، و التأملات التي تبني عالمه السحري أو المثالي ، لأنه مهما استغرقت الرواية في الغموض إلا أنها - على الأقل- توحي بفكرة معينة أو مقصدية محددة ، تدل على لـــب الرواية أو هدفـــــها العـــام .

* حينما أدركت سيطرة ناموس الحياة ، استطعت إيجاد مواقف أرقى غير موجودة فينا و في غيرنا لكنها مدفونة و متوارية ، لا يستطيع استدراجهـــا إلا القليلـــون ، بموجـــب توفـــر استعدادات معينة و لعل أبرز هؤلاء هم الأنبياء ، ثم العباقرة ، طبعا بدرجات متفاوتـــــة. (2)

(1)- محمد عرعار ، البحث عن الوجه الاخر ، ع ، س ، ص67

(2)- محمد عرعار ، البحث عن الوجه الاخر، ع ، س ، ص74

94

* وقد توصلت في نهاية المطاف ، بعد تجربة الجنس و المعايشة الحقيقية ، إلى أننا جميعا واحد **رغم** كثرتنا التعدادية ، و تنوعنا الظاهري ... و إني لا أقصد الإنسان بمفرده ، و إنما كل شـــيء والجماد و الحيوان و الإنسان و النبات و الجن و الملائكة و غيـــرها .(1)

إن نظرة السارد إلى واقعه نظرة شاملة ، يرى فيها أن كل المخلوقات في حاجة إلى تغيير

الخاضع لمتطلبات الحياة و الظروف ، ويكون الإنسان الأولى بهذا التغيير لأن متطلبات حياته أعمق و أدل من غيره ،و بالتالي بناء كيانه وفق ما تتطلبه كينونته .

* و اختلافنا الموجود هو الدليل على وحدتنا و توحدنا ، و إنما
ترائينـــا على صـــــور مختلفـــة في أماكن و أزمنة متعددة
في مجال وعيينا المحدود المقيد ، الذي هو هكذا في حياتنـــــا ... (1)

يحاول السارد من خلال هذه المقاطع السردية إثبات حقيقة التغير و عدم الرضى الذي يتولـــــد عند الفرد جراء تأثير عوامل داخلية و التى تتمثل في حقيقة وجوده و نشأته و عوامل خارجية تفرزها مختلف المؤثرات الاجتماعية المادية ، و الشخصية النفسية .

المظهر الثالث : تمثله المقاطع السردية التي تستغرق فيها الشخصيات في عرض تفاصيل أحلامها المتكررة و المتواترة ؛ اذ أن المادة الحكائية لرواية " البحث عن الوجه الاخر " هي مادة حلميـــة تستند الى ما تعيشه الشخصيات (البطل هو الرجل الغريب) من أحلام نـــوم أو أحـــلام يقظـــة .

- يخال لي أيها الزائر ، أنك أخطأت معي و حسبتني شخصا آخر.
فقاطعني بحدة: بل أنت . ثم أكمل بخفوت : لأنك أ نا .
فرغبت في وضع حد لهذا الحديث اللامجدي . وماذا تريد؟
جئت لزيارتك. (2)

---

(1)- محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر، ع ، س ، ص74

(2)- محمد عرعار ، البحث عن الوجه الآخر، ع ، س ، ص6

95

فالشخصية في المقطع السابق تختار الحلم لمحاورة الزائر ، و هذا ما يدل ضمنيـــــا على أنهـــا تعجـــز على المواجهة الواقعية بسبب ما تخفيه من أسرار فرضها عليها الماضي ، كما يتضح في بعض المقاطع السردية و بخاصة تلك التي يتحدث فيها عن مولده و نشأته في صفحاته روايته من جهة ، و الانفراد بزائره مع توخيه الحيطة لعـدم البوح بكل ما له من أسرار، و لا يتسنى له ذلك الا من خلال التصرفات الحلمية من جهة ثانية .

- و بينما أنا أتساءل ، وضعت قدمي في بركة ماء ، فتعثرت ، و وقعت .

شعرت بنفسي أتحطم كمرآة تتهشم .

عزمت على النهوض بسرعة ، فوجدت صعوبة ..تمنيت مساعدة .

شعرت بيد تمسكني من ذراعي ..حركتني قليلا ، ثم رفعتني ، فكنت واقفا غير متعثر ، ثابت القدمين . (1)

من خلال هذا المقطع السردي يتضح بأن السارد يفسر تصوراته من خـلال أحلامه ليخفـــف من صدمة الفشل التي لا يطيقها اذا ما تحققت في الواقع الذي يعيشه .

لقد غدا الحلم عند الروائيين ركنا أساسيا ، يصعب الاستغناء عنه ، لما له من دور في تجميل العمل الروائي ، كونه لايخضع الى حدود ، لكنه يعطي للروائي مجالا غير محدود للابتكار و الاجتهاد دون أن يجد نفسه مضطرا الى التبرير أو الرضوخ لقواعد الواقع و بعض قيمه .

ان للحلم وجود خارج سيطرة العقل و المنطق ، فهو مستتر باللاوعي الذي يحتمي به الروائي حين التدقيق و التنقيب في أحلامه كونها تحميه (الروائي) من روتنية الحياة ؛ فالحلم بقدر ما هو نقيــض للواقع ، فانه يلتف عليه ساعيا الى طرح البديل عنه .

يعتمد الروائي محمد عرعار في روايته "البحث عن الوجه الاخر " على أحلام تكسر المستحيـــل يعود بعدها الى الواقع عند استيقاظه ليتمتع بالمعقول بعد ما تمتع بالمحلوم به طيلة مـــدة الحلـــم التي لا تدوم سوى لحظات ، بل قد يستمر مفعولها الساعات .

ولعل ما يفسر اعتماد الاحلام في العمل الروائي ؛ هو الواقع المعيش الذي حتم ضرورة البحث عن بدائل يجهر من خلالها بالمطلوب و التصور الذي يعجز عنه الانسان في

(1)- محمد عرعار ، البحث عن الوجه الاخر ، ع، س، ص31

واقعه كما يرى **نيتشيـــــــه** ‹‹ ان في الحلم بقية من الانسانية الاولى لما تمت ، وما عدنا اليوم نملك بلوغها من طريق مباشر ›› (1)

و من هنا يبقى الحلم في الرواية كالخيال ، أو هو تأويل له ؛ اذ كلاهما من محفزات الكتابة و ضرورة أساسية للفن .

1 - **تصميم الغلاف** :

إن تصميم الغلاف في الرواية الجديدة بعامة ، و في رواية " البحث عن الوجه الآخر " بخاصة يعبر عن تشكيل تجديدي يبتعد عن معطيات ميسرة تساهم في تحديد معنى الروايـــة أو معرفة هدفها العام مثلما تجده في الروايات التقليدية التي يتضمن غلافها مقدمات أو رسومات هامشية توحي بدورها الى القارئ أو المتلقي بتبيين فكرة عن النص الروائي إن رواية "البحث عن الوجه الآخر" يحتوي إسم المؤلف و عنوان الرواية بخط سميك ، فالمؤلف ورد بخط سميك ، فالمؤلف ورد بخط أسود أما عنوان الرواية كتب بلون بني دون وجود لأية إشارات أو علامات توجيهية للقارئ .

2- **تنظيم الفصول**:

الكشف عن تنظيم الفصول في رواية " البحث عن الوجه الآخر" هو محاولة تتبع الدارس للخط التعاقبي ، أو المسار الترتيبي للأحداث والفصول في الرواية يخضع للترقيم من 01 إلى 10 ترقيما تصاعديا يوهم القارئ بوجود بنية ذات طابع كرونولوجي، تجعله يتريث للكشف عن الروابط المنطقية بين هذه الفصول ، بما فيها من تذبذب ، على الرغم من وجود رابط يحكمها ذو طابع فوضوي يعبر عن رؤى ينطلق منها السارد تستخلص من خلال الروابط الزمنية ، والمبرر لتلك الاهتزازات في الزمن تخضع لرؤية السارد نفسه في التعريف

(1)- ينظر هيثم حسين ، الحلم معجزة النص الجمالية، ط 2 ، دار النشر و التوزيع ، ص 28

بشخصياته ، ومحاولة التدقيق في المواقف والسلوكات و العلاقة بين الفصول علاقة احتواء ، بحيث كل فصل يطل على فضاء سردي تختلف بنيته عن الفصل السابق واللاحق حسب نوعية الأحداث وتطورها.

تبدو فصول الرواية لاول وهلة متباعدة متناثرة، ولكنها في حقيقة الامر متماسكة غير ان ما يظهر للمتلقي من تاويل نتيجة النمط الزمني التقليدي الماضي / حاضر / مستقبل الذي اعتمده السارد في الرواية فهو تشكبل خاص يلائم المنحنى النفسي او الفكري للشخصية المحورية في الرواية (شخصية البطل) ، بحيث تعيش الشخصية انفصالا بين حاضرها الاليم وماضيها السعيد الذي يحقق لها الارتياح والاستقرار ، وهذا ما يتجلى من خليلال هندسة الفصول وتنظيمها المكونة للمتن الروائي .

الفصل الاول يسوده زمن الماضي نعثر فيه على الشخصية المحورية تحاور شخصيات غريبة في الحلم ، فتصاب بحالة قلق مؤثر تعمل على التخلص منه باستسلامها للنوم قصد جلب الارتياح .

في الفصل الثاني تبدا الشخصية المحورية بتذكر الماضي و الحنين اليه بسرد سيرتها الذاتية عن طريق الارتداد لتصل في الاخير الى جزء من الحقيقة التي كونت طفولتها.

اما في الفصل الثالث فتبدو حبيسة الحلم بمحاورتها الصوت المجهول لينتهي الحلم بلقاء المراة الزائرة ، و تعود الشخصية المحورية في الفصل الرابع لتعيش الواقع حين تلتقي مع شخصية حقيقية (الرجل الغريب) ، ليزداد تعلقها به و التلذذ الى سماع سيرته و الشوق الى مجالسته و تتعاقب النظرة اليه من فصل لاخر بعد انسحابه من فضاء الواقع والحلم .

و بذلك تنتهي الرواية الى نهاية مفتوحة من خلال اصرار و عزم الشخصية على البحث عن الرجل الغريب الذي قد يمثل الوجه الاخر المبحوث عنه ، و الذي يمثل في الوقت نفسه صورة مطابقة لصورة البطل.

3 - **العــنوان**:

يعـد العــنوان من أهــم عناصر النــص المـوازي وملحقاته الــداخلية نظرا لكونه مدخلا اساسيا في قـراءة الإبداع الأدبي والتخـييلي بصفـة عامة ، و الروائي بصفـة خـاصــة، انـه عتبة النص وبدايته هـو عـلامة لسانية وسـيميـولوجـية ، غـالبا ما تكون في بداية النــص ، لها وظيفـة تعـينية ومدلولية ووظيفـة تاشيرية أثناء تلقـي النص والتلـذذ به تقـبلا وتفــاعلا .

4 – **البياض** :

إن وجود البياض على صفحات الخطاب الروائي له دلالات معينـة تخضـــــــع لرغبة الســـــــارد و ما يظهره من حالات نفسية يعيشها داخل الرواية ، وهدفه في تصور الأحداث المتتالية التي يتوفرعليها النص السردي ، و قد يكون البياض عاديا طبيعيا كنهاية الفصول مثلا و يكون دالا على رغبة الشخصية في مقاومة بعض التصورات و التأملات التي تتحكم في الشخصية و تجعلها مترددة في الحكم الآخر .

ان الفضاء في رواية " البحث عن الوجه الخر " يلف مجموع الرواية على حد تعبير حميد حميداني الذي يقول : ‹‹ ان الفضاء يلف فضاء الرواية ، بما فيها أحداثها التي تقوم في السرد ؛ لان هذه الاحداث تفترض دائما استمرارية للمكان ، و هذا لا يعني أن الفضاء مكون من الاحداث ، و لكنه فقط يؤطـرها انه موجود بالضرورة أثناء جريان الوقائع .›› (1)

---

(1) – حميد حميداني ، بنية النص السردي ، ع ، س ، ص64

و ذلك ما يعني أن الفضاء لا يتحدد مفهومه بالاحداث ، و انما يتشكل بوجودها و يتنـــــوع بتنوعــها فالفضاء في رواية " البحث عن الوجه الاخر " ينقسم الى قسمين تناسبا مع طبيعة الاحداث في حد ذاتها إذ الأحداث تدل على طبيعة واقعية (الأمكنة ذات البعد الجغرافي الحقيقي) من جهة ، و تدل على طبيعة سحرية خرافية (الأمكنة ذات البعد الأسطوري) من جهة ثانية .

فالفضاء في هذه الرواية يكون عنصرا من العناصر التي تشكل لب الرواية ، بحيث أنهـــا تقــدم على ثنائية (الحلم / الواقع) التي تناسب فكرة الشخصية و الوجه الاخر للشخصية .

لقد تطور الوعي بالفضاء في الكتابة الروائية العربية الجديد – على الاقل – منذ فلوبير و بروست وصولا الى الرواية الجديدة في فرنسا على يد ميشال بوتور ، فقد تطور بالمعنى الذي لم يعد مجرد عنصر تكميلي مقحم في النصوص السردية ، بل اضحى حضورا كاملا في الخطاب الروائي على نحو ما ذكره كثير من النقاد فيما سبق ذكره و ذلك الى الحد الذي يجعلنا نقول بان الفضاء هو احدى العلامات المميزة للكتابة الروائية الجديدة.

الخاتمة

خاتمـــة:

إن البعد الذي يوليه النقـد العربي للفضاء الروائي ، ضرورة حتمية ، فرضتها الرواية العربية الجديدة ، باهتمامها بهذا المكون السردي ، لكن المفارقة أن اهتمام الرواية بالفضاء ، شكل طفرة نوعيـة ، تقابل النقـد الذي ظل يقارب هذا السكون باستحياء ، أدى بالنقـاد في بعض الأحـــيان إلى عدم التمـيز بـين المفاهـــــيم ، والتعتيم في الرؤى .

وهذا ما لمسناه في الفصل الأول من هذا البحث ، بحيث لم نجد اتفاقـــا في استعمالات المصطلـــح أو توحيـــدا في المفـهوم بين النقـاد و الباحثـــين ، غير أنـه لا يمكننا إنكار مجـهودات بعض النقـــاد في إضاءة جوانب الفضاء الروائـــي .

وقد أظهرت مقـاربتنا للفـضاء وتشكـيلـــه ، في الرواية التقـليديـــة ' **ريـــح الجنـــوب** ' لابن هدوقة والروايـــــة الجديدة ' **البحـث عن الوجـــــه الآخـر**' لمحمد عرعار ، وجـود مفاهيم متعـددة لا تقف على تعريف واحد للمصطلح ، إذ كل بـاحث يستعمل المفـهوم الذي يريـــده ، ويرغب فيه .

ومهما اختلفـت المصطلحات ، بين النقـاد والـدارسين ، إلا أن الفضاء يبقـى العنصر الذي يلـف الرواية ، باحتوائه مجموع الأمكنة ، وهذا ما اتضح لنا من خـلال دراستنا للمتون الروائية التقـليديـــة والجديـــدة بمختلف مسمياتـــها ، إما بتكثيف الأمكنة و تنـــوعـها ، بالتفصيل في وصف الجزئيات (الرواية التقليدية) ، أو الإشـارة للأمكـنة دون أن يعـطيها الروائي أي اهـتمام ، انما تـرد عـابرة ممـهدة لتطـور الأحداث (الرواية الجديدة) .

و على الرغم من التمايـــــــز بيـن المفاهيـم ، فـالفضاء تعـيشـــــه الشخصيـــات في الواقـع و الخيـــال ، لتسجل من خـلاله ، مواقفـها اتجـاه الأمكنـــة المنغـــــلقة ، أو المنفتحـة ، وتمـــرير

ما لديها من أفكار، أو تنتقل بها إلى عالم الحلم ، أين ستجد الشخصيات مجالا مناسبا للتعبير عما لا تستطيع البوح به في الواقع ، من أفكار وإيديولوجيات ، ومكبوتات متعددة ، وما نستخلصه من هذا البحث المتواضع نوجزه في النقاط الأتية:

1 - الفضاء في الرواية التقليدية (الكلاسيكية) ، يتحرر بالفضاء الجغرافي ، أما في الرواية الجديدة فيتمثل في الفضاء الدلالي المعقد ، و العميق ، الذي يساهم في خلق الأحداث وتحديد طبيعة الشخصيات في الرواية .

2– الفضاء يخضع إلى الوصف الدقيق في الرواية التقليدية ، كأن يرسم جميع ملامحه ، و معطياته و أبعاده ، و تضاريسه ، أما في الرواية الجديدة ، فيخضع إلى وصف قاتم ، و مظلم ، لا يتحدد و لا ينكشف ، إلا بالقراءة العميقة ، و المحايثة ، لكل عناصر الخطاب الروائي .

3 - الفضاء ابتعد عن المفهوم الكلاسيكي للمصطلح (المكان) ، سواء في الرواية التقليدية أو الجديدة فالتقليدية في حد ذاتها ، تتضمن المفهوم الحداثي للفضاء ، و لكن بتفاوت بين النصوص الروائية .

4 – إن اللغة و البناء العضوي في الرواية ، من المعطيات الأساسية ، التي تساهم في تشكيل الفضاء سواء بمظهره السفلي في الرواية التقليدية ببنيتها اللغوية السطحية الشفافة ، أو لمظهره العميق ، في الرواية الجديدة ببنيتها العميقة و المتداخلة .

5 - إن مفهوم الفضاء الدلالي كمكون جماعي ، أو شامل لكل الأمكنة ، أو الفضاءات ، في النص لم يتحدد على المستوى الإجرائي بعد ، فهناك نماذج قليلة جدا ، تتحدث على هذا النوع من الفضاء بالرغم من تمثيله للسمة البارزة و الجوهرية ، لمفهوم الرواية الجديدة .

6 – إن الفضاء عبر مفهومه الفلسفي أو الفكري ، لم يطرح بعدا عميقا في الكتابة النقدية الروائية العربية ، أو الجزائرية ، على حد سواء ، بالقدر الموجود في الكتابة النقدية الروائية الغربية ، سواء على المستوى ألتنظيري ، أو الإجرائي في الوقت نفسه ، لان الرؤى النقدية

الغربية في معظمها ، تنطلق من معطى فلسفي بحت ، في حين يخضع هذا المعطى ، في الكتابة النقدية العربيـــة إلى اختــزال ، و تبسيــط من شأنـــه ، يجعل مفهـوم الفضاء في حد ذاتــه ، لا يخـــرج عن التحديــدات المدرسيـة ، التي تعرض بشكل تعليمي باهــت ،و فج .

7 - مفهوم الفضاء بأبعاده و تحديداته الدقيقة ، لم يتضح بعد لدى العرب ؛ بسبب وقوع جميع الدراسات الأكاديميــة ، أو النقـدية في صيغ التكـــرار و الاجتــرار، للتحديدات و المعطيات نفسها ، و أحيانا بنفس النتائج المدروسة ، قصد الإجراء أو التطبيق ، وهذا لا يسمح ، بالوصول إلى النقــاط البعيدة ، أو العميقة التي يطرحها مفهـــــــوم الفضاء .

8 – كما أن دراسة الفضاء ، بمعزل عن العناصر الروائية ، لا يسمح باستنتاجات قوية ، و سليمة لمفهوم الفضاء وأنــواعـه ، لان الـرؤية الغربية للمصطلح ، رؤية شاملة ذات منحنى بنيوي ، لا يقصي عنصرا من العـناصر التي تشكل بنية الخطاب الســـــــردي .

9 – إن كل ما تجاوب من مقولات تصورية ، حول مفهـــــوم الفضاء و أنواعه ، تنطبق علي الرواية الجديـدة بخاصة ، بحيث انطلق رواد الرواية الجديــدة ، من النص الروائي الجديد ، لتحديد معظم القيم التجديديــة ، و المتغيــرة في العناصر البنائيـة للإبداع الروائــي .

10 – الفضاء في الرواية الجديـــدة ، تتعدد مستوياته، بسعة الارتقاء إلى مســـــتوى التجريـــد العقـلي بمعنى ؛ أنها تجــاوزت المرجعـية الحسيـــة للفضاء ، إلى فضاءات روحية ، تخترقـها الأفكار، لأنه يتميـــــز بأهمية كبيرة في تأطيــر المادة الحكـائيـــة .

11 – لقــد كان للتسلسل المنطقـــي في الرواية التقـــليدية ، دور مــهم في تشكيل الفضاء ، كما يتضح في رواية 'ريح الجنوب ' لابن هـدوقة ، فالأمكـنة باختـلافــها ، ودقـــة مكـوناتها ، هي التي تساهم في بناء الفضاء ، و وصفــه بالانغــلاق أو الانفــتاح ، ليزيـد من الحـدة الواقعية ، أو التاريخية للأحداث والوقائـــــــــــع ، و يـبقـى مفهوم الفضاء في الرواية التقليديـــة على الأقل - في الجانب

الإجـرائي ، يكون من صنع المكان ، كونه العنصـر الكفيل بوضع الفضاء ، و إنتاجه ، و تجسيـده على مستوى الخطاب الروائي .

12 – إن الفضاء في الخطاب الروائي الجديـد ، لا يقـل أهميـة في الحـدث الروائـي عـن العـناصر الأخـرى ، المشكلة للعمـل السـردي ، يتفاعـل معها ، بالتـأثـير، و التـأثر وهـو ما ينطـبق علـى روايـة ' البحـث عـن الوجه الآخـر' لمحمد عرعـار، لما للفضـاء من أهمية في تطوير الأحداث ، وبنـاء التصـميـم الروائـي .

13 - استطاعت الروايـة الجديدة ، باعتمادها تقـنية الاستبـاق ، أن تعطي مجالا أوسـع لتشكـيل الفضاء ، علـى مستوى الحكائيـة الحلميـة ، كما يحدث في روايـة ' البحث عن الوجه الآخر' التي يغلب فيها الحلـم على الواقـع .

فهرس المحتويات

الاهـــداء .....

المقدمـــة .....

الفصـــــــــــــــل الأول

مفهـــــــــوم مصطلح الفضاء **02**

إشكـــاليـــــــــــة المصطلح **04**

الفضـــاء في الدراسات الغـــربية **05**

الفضـــاء في الدراسات العـــربية **13**

مفارقة مصطلحاتية لمفهوم الفضاء **18**

الحـيـــــــــــــــــز **19**

مصطلح المكان في مقابل الفضاء **24**

أنـــــــــواع الفضـــــــاء **37**

الفضاء كمعـــادل للمكان **38**

الفضاء الدلالـــــــــــي **38**

الفضاء كمنظور أو كرؤية **39**

الفضاء النصـــــــــــي **40**

الفصـــــــــــــــل الثاني

الفضـــــاء الجغـــرافـــي **45**

فضاء القريـــة **45**

فضاء الســوق **48**

فضاء المقهـى **48**

فضاء الغرفـــة **50**

الفضـــــــاء النصـــــي **60**

تصميم الغلاف **60**

العـــــنـــوان **61**

تنظيم الكتابـة **63**

الكتابة الأفقيـة **64**

الفضاء الدينـــي **65**

الفصـــــــــــــــل الثالث

الفضـــــاء الجغـــرافـــي **69**

فضاء البيـــــت **70**

فضاء الغـــرفة **76**

الفضاء السحري **77**

الفضاء الحـلمـي **79**

الفضاء الدينـــي **83**

الفضاء المبهـــم **85**

الفضـــــاء النصـــــــي **87**

الكتابة العمودية..... **89**

- الكتابة الأفقية..... **93**
- تصميم الغلاف..... **97**
- تنظيم الفصول..... **97**
- العـــــــنـــوان..... **99**
.- البيـــــــــاض..... **99**
الخـــــــــــاتمة .
المصادر والمراجـــــــع .
الفهـــــــــــــــرس .